

سورة الماعون

نظرة إلى الدين

بين التصديق والتطبيق

دراسة تحليلية

إعداد

عائشة السيد محمد السيد حسن

أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فرع البنات بالقاهرة

سورة الماعون نظرة إلى الدين بين التصديق والتطبيق دراسة تحليلية

عائشة السيد محمد السيد حسن

قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات – القاهرة .

الملخص:

هذا البحث دراسة لتفسير سورة الماعون دراسة تفسيرية تحليلية ، تهتم بإبراز مقاصد وهدايات السورة الكريمة ، بعيداً عن الخوض فيما لا يتوقف بيان المعنى عليه ، ذلك أن هذه الدراسة تهدف إلى توضيح أهمية موضوع السورة في الواقع، حيث تناولت السورة قضية اجتماعية مهمة، وهي : البُعد بالدين عن التطبيق العملي في واقع الناس وحياتهم ومعاملاتهم ، واعتمدت الدراسة في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي ، وجاءت في مقدمة وتمهيد ، ومبحثين ، وخاتمة بها أهم النتائج والتوصيات .

الكلمات المفتاحية : الدين ، يدع ، يحض ، ويل ، يراءون ، الماعون .

Sura Al-Ma'oun's View of Religion Between Ratification and Application Analytical Study

Aisha Al Sayed Mohammed Al Sayed Hassan

Department of Interpretation and Sciences of the Qur'an - Faculty of Islamic and Arab Studies Girls - Cairo.

Abstract :

This study is a study of the interpretation of Sura al-Ma'oun, an analytical explanatory study, which is concerned with highlighting the purposes and gifts of the holy surah, far from going into what does not depend on the statement of meaning, because this study aims to clarify the importance of the subject of sura in fact, where the surah addressed an important social issue, namely: the distance of religion from practical application in the reality of people, their lives and their transactions, and the study in this research relied on the analytical sediti method, and came in the introduction, preface, preface, and conclusion, the most important findings and recommendations .

Keywords: Religion, let, exhort, woe, see, ma'amon.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين ، ورضي الله عن الصحابة والتابعين ، ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعـــد

فإن من حِكم إنزال القرآن الكريم التي أخبر الله تعالى عنها ، ما جاء في قوله سبحانه : ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ (1) ، ولا يزال المجال أمام تدبر آياته ومعانيه مفتوحًا أمام العقول ، في كل عصر ، ولكل جيل ، وسيظل ببركته زادًا لكل من قصده في كل مجال ، وزادًا لمن أراد أن ينهل من فيض هداياته .

وفي هذا البحث ، محاولة لتدبر هدايات سورة الماعون . هذه السورة القصيرة ، التي اشتملت على معانٍ كثيرة ، تدعو إلى التأمل والتفكر في حقيقة التكذيب بالدين الذي تحدثت عنه هذه السورة ؛ حيث اشتملت السورة على بيان علامات أو صفات المكذب بالدين ، بشكل يُثير في الذهن التأمل والتساؤل ، وذلك حين ذكرت السورة في صفات المكذب بالدين : الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ،... إلى أخر الصفات المذكورة .

(1) سورة ص : آية : ٢٩ .

ولم تذكر السورة في صفات المُكذب بالدين : من أشرك بالله ، أو : من كذَّب الرسول .... إلى غير ذلك مما يتعلق بجانب العقيدة ! فما المراد بالدين الذي تحدثت عنه السورة ؟ وكيف تكون هذه الأفعال المذكورة تكذيبًا بالدين؟ ولِمَ خُصت هذه الأفعال دون غيرها ؟

ـ سبب اختيار الموضوع :

كل هذه التساؤلات التي قد تخطر بذهن القارئ لهذه السورة الكريمة ، المتدبر في مقاصدها وهداياتها ، كانت سببًا دافعًا لي لدراسة تفسيرها ، حتى عزمت على كتابة هذا البحث ، بعنوان :

سورة الماعون

نظرة إلى الدين بين التصديق والتطبيق (دراسة تحليلية)

ـ أهداف دراسة الموضوع :

أما عــن أهداف دراسة هــذا الموضوع ، فيمكن تلخيص أهمها فيما يلي :

١ ــ توضيح أهمية موضوع السورة الكريمة في الواقع ، حيث تناولت السورة قضية اجتماعية مهمة ، وهي : البُعد بالدين عن التطبيق العملي في واقع الناس وحياتهم ومعاملاتهم .

٢ ــ الربط بين الأفعال المذكورة بالسورة الكريمة ، والتكذيب بالدين .

٣ ــ بيان قيمة التطبيق العملي لنصوص الدين في واقع الحياة ، وأثر ذلك في حل كثير من مشكلات المجتمع .

٤ ــ تعزيز قيمة الرحمة والرأفة باليتيم والمسكين، والإخلاص ، والتعاون، ومكانة هذه الأفعال من الدين .

٥ ــ بيان مقاصد وهدايات هذه السورة الكريمة .

٦ ــ المساهمة في وضع نواة للتأليف في التفسير ، برؤية جديدة ، يتم فيها الاهتمام بمقاصد وهدايات الآيات ، أكثر من الاهتمام بالتوسع في عرض الخلافات في مسائل النحو والقراءات ، وعرض كثيرًا من الروايات الضعيفة والموضوعة ، التي تبعد بالقارئ عن مقاصد وهدايات الآيات .

خطة البحث :

أما عن خطة الكتابة في هذا البحث ، فهي على النحو التالي :

تقسيم هذا البحث إلي مقدمة ، وتمهيد ، ومبحثين وخاتمة .

ــ المقدمة :

وفيها : سبب اختيار الموضوع ، وخُطة البحث ، والمنهج المتبع في هذا البحث .

ــ التمهيد :

وفيه : التعريف بالسورة (أسماء السورة ــ سبب التسمية ــ نوع السورة ــ عدد آياتها ــ موضوع السورة ــ مناسبة السورة لما قبلها) .

المبحث الأول : تفسير السورة .

المبحث الثاني : مقاصد السورة .

الخاتمة : وتشتمل على :

ـ أهم نتائج وتوصيات البحث .

كما تشتمل على :

ـ فهرس للمراجع والمصادر التي تم الاعتماد عليها في كتابة هذا البحث.

ـ فهرس لموضوعات البحث .

أما عن المنهج المتبع في هذا البحث ، فهو كالآتي :

تعتمد الدراسة في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي ، المتمثل في استقراء وتتبع ما يتعلق بتفسير هذه السورة الكريمة ـ موضوع البحث ـ في كُتب التفسير ، مع دراسة وتحليل بعض أقوال المفسرين في تفسيرها .

ومن خلال هذا المنهج ، كانت أهم خطوات العمل في هذا البحث على النحو التالي :

١ ـ الرجوع إلى كتب التفسير ، وجمع أقوال المفسرين في تفسير هذه السورة الكريمة ، حسبما توفر لي من مراجع في ذلك .

٢ ـ الاعتماد في تفسير هذه السورة الكريمة على أُمهات كتب التفسير ، مع الاستعانة بالمراجع الحديثة ، والرجوع إلى مراجع علوم القرآن واللغة ، وغير ذلك مما يمكن الاستفادة منه في ذلك .

٣ ـ الاقتصار في تفسير هذه السورة الكريمة على ما يوضح المعنى ، ويُبرز مقاصد وهدايات الآيات ، دون التعرض لمسائل النحو والقراءات ، والروايات ، وغير ذلك مما لا يتوقف بيان المعنى عليه.

٤ ــ تجنب الأقوال الغريبة والضعيفة الواردة في تفسير هذه السورة ؛ في بعض كُتب التفسير .

٥ ــ تفسير آيات السورة الكريمة ، ابتداءً بتحليل مفردات الآية ، وبيان المراد بها ، ثم بيان المعنى الإجمالي .

٦ ــ بيان أوجه الترابط بين الآيات بشكل مُختَصر يُبرز ويوضح مقاصد آيات السورة الكريمة .

٧ ــ توثيق النقول، بنسبتها إلى مصادرها ، مع الإشارة إلى التصرف فيها ، إن تم التصرف في النص المنقول ، ومع مراعاة التدرج في التوثيق من الأقدم إلى القديم ، ثم إلى الحديث ، وترتيب المراجع حسب ذلك بالهامش .

٨ ــ الاكتفاء بذكر بيانات المرجع الخاصة بجهة طبعه أو نشره ، وتاريخ الطبعة عند ذكره للمرة الأولى فقط .

٩ ــ عزو الآيات القرآنية الكريمة المُستشهد بها في البحث إلى سورها، بإثبات رقم الآية ، واسم السورة بالهامش في نهاية الصفحة .

١٠ ــ عند الاستشهاد بجزء من الآية ، يوضع عدة نقط (.. .) قبل الجزء المُستشهد به وبعده ، أو قبله فقط ، أو بعده فقط . حسب موضع الجزء المُستشهد به من الآية ، وذلك للإشارة إلى أن هذا جزء آية ، وليس آية كاملة والأمر كذلك عند الاستشهاد بالأحاديث النبوية الشريفة.

١١ ــ تخريج الأحاديث النبوية المُستشهد بها في البحث من مصادرها ، مع الاقتصار في الاستشهاد على الصحيح فقط .

١٢ ــ وضع هامش كل صفحة أسفل نفس الصفحة لتيسير الرجوع إلى الهامش .

١٣ ــ تذييل البحث بخاتمة ، تشتمل على أهم نتائج وتوصيات البحث ، كما تشتمل على فهرس للمراجع والمصادر التي تم الاعتماد عليها في البحث ، وفهرس لموضوعات البحث ، وذلك لتيسير الرجوع إلى ما اشتمل عليه البحث .

وبعــد .. .

فهذه لبنة متواضعة في صرح الدراسات القرآنية ، التي تذخر بها المكتبة الإسلامية . أسأل الله تعالى أن ينفع بها ، كما أسأله سبحانه أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع الذي أرجو به خدمة كتابه الكريم، إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

والحمد لله رب العالمين .

عائشة السيد محمد

ــ تمهيد :

التعريف بسورة الماعون

أولاً : أسماؤها :

سُميت هذه السورة الكريمة ، بعدة أسماء ، منها :

١ ــ سورة الماعون :

حيث سُميت هذه السورة بهذا الاسم، في كثير من كُتب التفسير[١] .

([١]) يُراجع : تفسير مقاتل بن سليمان . تأليف : أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي ــ تحقيق : عبد الله محمود شحاته ٤/٨٦٩ ، الناشر : دار إحياء التراث ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) . تأليف : أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ــ تحقيق : عبد الرزاق المهدي ٥/ ٣١١ ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ٤/ ٨٠٣ ، الناشر : دار الكتاب العربي ــ بيروت . الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ، زاد المسير في علم التفسير . تأليف : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي . تحقيق : عبد الرزاق المهدي ٤/ ٤٩٥ ، الناشر : دار الكتاب العربي ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) تأليف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ــ تحقيق : أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش ٢٠/٢١٠ ، الناشر: دار الكتب المصرية ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م ، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) تأليف : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ٩/ ٢٠٣ ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) تأليف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ==

وذكره الإمام السيوطي أيضًا من أسمائها ؛ في الإتقان [1] .

ووجه تسميتها بهذا الاسم : ورود كلمة الماعون في آخرها [2] . ولم تُذكر هذه الكلمة في أي سورة أُخرى من سور القرآن ، غير هـذه السـورة . وسيأتي معنى الماعون والمراد به ، عند تفسير الآية الكريمة التي وردت بها هذه الكلمة .

٢ ـ وسُميت في بعض التفاسير [3] : سورة أرأيت . وكذا عَنْوَنَ لهـا

==

الدمشقي . تحقيق : محمد حسين شمس الدين ٨/٤٦٧ ، ٤٧١ ، الناشـر دار الكتـب العلمية . منشورات محمد علي بيضون . بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

([1]) الإتقان في علوم القرآن . تأليف : الإمام جلال الدين السيوطي الشافعي . مراجعة وتدقيق : سعيد المندوه ١/ ١٥٥ ، الناشر : دار الفكر . بيروت ـ لبنـان . الطبعـة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

([2]) التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتـاب المجيد) تأليف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطـاهر بـن عاشـور التونسـي ٣٠/٥٦٣ ، الناشر : الدار التونسية للنشر ـ تونس . سنة النشر : ١٩٨٤م .

([3]) يُراجـع : تفسير مجاهـد . تأليـف : أبـو الحجاج مجاهـد بـن جبـر التابعي المكي القرشي المخزومي . تحقيق : د . محمد عبد السلام أبو النيـل . ص : ٧٥٣ ، الناشر : دار الفكر الإسلامي الحديثة ـ مصر . الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، جامع البيان فـي تأويل القرآن . تأليف : محمد بـن جرير بـن يزيد بن كثير بـن غالب الآملي أبو جعفر الطبري . تحقيـق : أحمد محمـد شـاكر ٢٤/٦٢٧ ، ٦٤٢ ، الناشـر : مؤسسة الرسـالة . الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ـ ٢٠٠٠ م ، الهدايـة إلى
==

البخاري في صحيحه (١) ، والسيوطي في الإتقان (٢) . تسمية بأول كلمة افتُتِحَت بها السورة .

٣ ــ سورة الدِّين :

حيث عُدَّ هذا الاسم ، من أسماء السورة في بعض كُتب التفسير (٣) .

==

بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه . تأليف : أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ــ جامعة الشارقة . إشراف : د. الشاهد البوشيخي ١٢/ ٨٤٥٩ ، الناشر : مجموعة بحوث الكتاب والسنة ــ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ــ جامعة الشارقة . الطبعة الأولى ١٤٢٩هــ ــ ٢٠٠٨م .

(١) صحيح الإمام البخاري . كتاب تفسير القرآن . باب : ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [سورة الزلزلة : آية : ٨] سورة أرأيت ، ٦/ ١٧٧ [الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) . تأليف : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي . تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر . الناشر : دار طوق النجاة . الطبعة الأولى ١٤٢٢هــ] .

(٢) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٤٦ ، ١٥٥ .

(٣) يُراجع : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . تأليف : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ٢٢/ ٢٧٥ ، الناشر : دار الكتاب الإسلامي ــ القاهرة ، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير . تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ٤/٥٩٣ ، الناشر : مطبعة بولاق (الأميرية) ــ القاهرة . عام النشر : ١٢٨٥هــ ، حاشية الشهاب على

==

وذكره السيوطي أيضًا في الإتقان [1] .

٤ ــ سورة التكذيب :

ذُكر هذا الاسم ، من أسماء هذه السورة في بعض كتب التفسير [2] .

٥ ــ سورة اليتيم :

ذكره الإمام الشوكاني في فتح القدير [3] .

ثانيًا : نوع السورة ، وعدد آياتها :

الجمهور على أنها مكية [4] .

==

تفسير البيضاوي ، المسماة : عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي . تأليف : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي ٨/٤٠٠ ، دار النشر: دار صادر ــ بيروت ، فتح القدير . تأليف : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني ٥/٦١١ . الناشر : دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب. دمشق. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ، التحرير والتنوير ٣٠/٥٦٣ .

(١) الإتقان في علوم القرآن ١/ ١٥٥ .

(٢) يُراجع : نظم الدرر ٢٢/٢٧٥ ، حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٨/٤٠٠ ، التحرير والتنوير ٣٠/٥٦٣ ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم . تأليف : د . محمد سيد= =طنطاوي ١٥/٥١٧ ، الناشر : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. الفجالة . القاهرة . الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .

(٣) فتح القدير ٥/ ٦١١ .

(٤) يُراجع : تفسير مقاتل ٤/ ٨٦٩ ، تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) تأليف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن

==

وفي بعض كُتب التفسير مختلف فيها [١] ، وكذا عَدَّها الإمام السيوطي في الإتقان في عِداد السور المخُتَلف فيها [٢] .

وعدد آياتها : سبع آيات .

ثالثًا : موضوع السورة :

تناولت السورة الكريمة قضية دينية اجتماعية مهمة ، وهي غياب التطبيق لكثير من نصوص الدين في واقع الناس وحياتهم ، وذلك من خلال عدة آيات وضحت مفهوم التكذيب بالدين ؛ حيث ذكرت السورة الكريمة من خلال هذه الآيات ، بعض الأفعال التي تمثل نماذج تطبيقية للبعد عن حقيقة الدين ، والتصديق بأركانه . هذه الأفعال التي قد تبدو هينة

==

عطية الأندلسي المحاربي . تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ٥/ ٥٢٧ ، الناشر : دار الكتب العلمية ــ بيروت . الطبعة الأولى : ١٤٢٢هـــ ، زاد المسير ٤/٤٩٥ ، تفسير ابن كثير ٨/ ٤٦٧ ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور . تأليف : عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ٨/ ٦٤١ ، الناشر : دار الفكر ــ بيروت .

(١) تفسير السمرقندي (بحر العلوم) . تأليف : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ٣/٦٢٥ ، زاد المسير في علم التفسير ٤/٤٩٥ ، تفسير القرطبي ٢٠/ ٢١٠ ، تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) تأليف : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ٥/ ٣٤١ ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ، السراج المنير ٤/٥٩٣ ، وفتح القدير ٥/٦١١ .

(٢) الإتقان ١/ ٤٦ .

عند بعض الناس ، ويحسبونها لا تؤثر في الدين ، ولا في حقيقة التصديق بالدين ؛ ذلك أن مِن الناس مَنْ يعتقد أن التصديق بالدين ، يكفي لتحقيقه : النطق بالشهادتين ، وتأدية العبادات المفروضة !

فجاءت السورة الكريمة بهذه الأفعال التي توضح صفات المكذب بالدين؛ لتقرر أن الدين ليس تصورًا نظريًا ، بل هو تطبيق عملي لنصوص الدين في واقع الناس وحياتهم .

ولتقرير هذه الحقيقة وتوضيحها ، لم تذكر السورة قواعد نظرية ، حيث لم تذكر : التصديق بالدين كذا وكذا ، أو التكذيب بالدين كذا وكذا ، بل ذكرت أفعالاً ؛ لتبين أن التصديق بالدين ، يتجلى في التطبيق ؛ التطبيق العملي لنصوصه وقواعده ، وجميع أركانه ، وبهذا قررت السورة الكريمة أن التكذيب بالدين لا يقتصر على عدم النطق بالشهادتين ، وعدم الاعتراف أو الإقرار بالدين ؛ بل إنه يمتد إلى عدم التطبيق العملي لهذا الدين في جميع أفعال الإنسان . وفي ذكر المصلين ما يؤكد ذلك ؛ فالسورة الكريمة لم تتحدث عن المكذب الذي لم يُقر ، بل إنها تتحدث عن المُقِر ، لكنه المقر بلسانه فقط ، وقلبه وجوارحه بمنأى عن التطبيق . المُقر الذي يؤدي العبادات ، لكنه يقتصر في أدائها على الشكل الظاهري فقط ، فهذا المكذب، ليس مكذبًا بأصل الدين، إنما هو مكذب بجوهر الدين وحقيقته ، هذه الحقيقة التي تشمل التصديق مع التطبيق ، ليُحقق المصدق بالدين التكامل في دينه بين الاعتقاد والعمل .

هــذا ، وبالنظر في هذه الأفعال المذكورة بالسورة ؛ نجد السورة الكريمة ذكرت ما يشمل جميع جوانب الدين ، فذكرت في كل جانب فعلاً دالاً على ما عداه ، حيث ذكرت دع اليتيم الذي يدل على القسوة وعدم

التحلي بالرحمة ، وذكرت عدم الحض على طعام المسكين الذي يدل على الشح ، وهذا مما يتعلق بجانب الأخلاق ، كما ذكرت المصلي الذي يقتصر على أداء الشكل الظاهري فقط للعبادة، وهذا مما يتعلق بجانب العبادات . وذكرت الرياء الذي يدل على عدم الإخلاص والتجرد لله تعالى ، وهو مما يتعلق بجانب العقيدة ، وخُتمت السورة بمنع الماعون ، وهو مما يتعلق بجانب المعاملات .

وبهذا جمعت السورة الكريمة ، من خلال هذه الأفعال المذكورة جميع جوانب الدين ، لتقرر أن التصديق بالدين يشمل جميع هذه الجوانب ، وهذا ما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ (١) .

فالمصدق بالدين هو مَنْ يُحقق التكامل بين هذه الجوانب ، أما الأخذ بأحد هذه الجوانب وترك ما عداه ، فهو تكذيب بحقيقة الدين الذي تتكامل جميع جوانبه لتحقيق كل ما يُصلح الأفراد والمجتمعات.

(١) سورة البقرة : آية : ١٧٧ .

ـ رابعًا : المناسبة بين هذه السورة وما قبلها :

في السورة السابقة ـ سورة قريش ـ أمر الله تعالى أهل قريش بشكر نِعمه سبحانه ، بإفراده بالعبادة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـٰذَا الْبَيْتِ**﴾ [1] ، ثم جاءت هذه السورة ـ سورة الماعون ـ توضح وتُبين حقيقة العبادة .

وقد بينت سورة الماعون حقيقة العبادة من خلال ذكر صفات المكذب بالدين ، فذكرت هذه الأفعال ؛ لتقرر أن العبودية إنما تتحقق بالتأدب مع الله تعالى ، وحُسن القيام على أداء حقوقه سبحانه وتعالى وحقوق العباد، وأن مَنْ تقاصر في ذلك وتهاون فيه ، فقد انصرف عن طريق العبودية، وعن التصديق بجوهر الدين وحقيقته ؛ لأن التصديق بالدين يحمل صاحبه على فعل الخير، ومكارم الأخلاق ، وينهاه عن الشر وسيئ الأخلاق ، وبهذا تتحقق العبادة [2] .

---

(1) سورة قريش : آية : ٣ .

(2) يُراجع : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٢/ ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحِكم الفرقانية . تأليف : نعمة الله بن محمود النخجواني ويُعرف بالشيخ علوان . الناشر : دار ركابي للنشر ـ الغورية ـ مصر . الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م . (بتصرف) .

المبحث الأول

تفسير سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾

ـ المفردات :

﴿ أَرَأَيْتَ ﴾ :

الرؤية بمعنى المعرفة [١] ، والاستفهام معناه التعجب ، فهذا اللفظ : ﴿أَرَأَيْتَ﴾ وإن كان في صورة الاستفهام ، لكن الغرض بمثله المبالغة في التعجب [٢] ؛ التعجب مِن حال مَنْ يستخف ويستهين بهذه الأفعال ، ولا يعدها منافية للدين .

([١]) تفسير أبي السعود ٢٠٣/٩ ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد . تأليف : أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني . تحقيق : أحمد عبد الله القرشي رسلان ٧/ ٣٥٩ ط / دار الكتب العلمية ـ بيروت . الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م ؛ فتح القدير للشوكاني ٦١١/٥ ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . تأليف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي . تحقيق: علي عبد الباري عطية ٤٧٤/١٥ ، الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

([٢]) يُراجع : تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) تأليف : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب ==

والغرض مـــن هذا الاستفهام ، مع ما فيه مـــن معنى التعجب : تشويق السامع إلى معرفة ما سَيُذكر من الكلام بعد هذا الاستفهام(١) .

والخطاب للنبي ﷺ ، ولكل مَنْ يصلح للخطاب (٢) .

والمعنى : هل عرفت الذي يُكذب بالدين (٣) ؟

﴿ يُكَذِّبُ ﴾ :

الكذب ضد الصدق (٤) . وهو أن يكون مدلول الكلام الخبري غير مطابق، أي غير مماثل للواقع في الخارج (٥) .

==

الري ٣٢/٣٠١ ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ــ بيــروت . الطبعــة الثالثــة ١٤٢٠هـــ ، تفسير البيضاوي ٥/٣٤١ ،السراج المنير ٤/٥٩٣ .

(١) يُراجع : تفسير أبي السعود ٩/ ٢٠٣ ، البحر المديد في تفســير القــرآن المجيــد ٧/٣٥٩ ، (بتصرف يسير) .

(٢) يُراجع : تفسير الرازي ٣٢/ ٣٠١ ، تفسير أبي السعود ٩/ ٢٠٣ ، التفسير الوسيط . تأليف : د . محمد سيد طنطاوي ١٥/ ٥١٨ .

(٣) يُراجع : تفسير الكشاف ٤/ ٨٠٤ ، تفسير الرازي ٣٢/ ٣٠١ ، تفسير أبي السعود ٩/ ٢٠٣ ، البحر المديد ٧/ ٣٥٩ .

(٤) جمهرة اللغة . تأليف : أبو بكر محمد بن الحسن بــن دريــد الأزدي . تحقيــق : رمزي منير بعلبكي ١/٣٠٤ ، الناشر : دار العلم للملايين ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٧م ، التحرير والتنوير ١/ ٣٤١ .

(٥) التحرير والتنوير ١/ ٣٤١ .

ويُستعمل الكذب مجازًا، يُقال : كَذَبَ البَرْقُ . والحُلَمَ ، والرَّجاء . ويُقال: كَذَبَتك عينك : أرتك ما لا حقيقة له [1] .

وقد ورد الكذب في القرآن الكريم بعدة معانٍ ، منها :

١ ــ الإنكــار . ومنــه قــوله تعــالى : ﴿ **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ** ﴾ [2] أي : ما أنكر .

٢ ــ الإخبار عــن الشيء بخلاف ما هــو عليه. ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ **وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّـهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴾ [3] أي : فيما قال عليها .

٣ ــ الافتراء :

ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّـهِ**...﴾ [4] ، وقــوله تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّـهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ** .. ﴾ [5] .

---

(1) لسان العــرب . تأليف : محمد بــن مكــرم بــن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ١/ ٧٠٨ ، الناشر : دار صادر ــ بيـــروت . الطبعة الثالثــة ١٤١٤هــ ، تــاج العــروس مــن جواهــر القاموس . تأليـــف : محمــد بــن محمد بــن عبــد الرزاق الحسيني أبــو الفيـــض الملقــب بمرتضـــى الزبيدي . تحقيق : مجموعة من المحققين ٤/١٢٧ . الناشر: دار الهداية .

(2) سورة النجم : آية : ١١ .

(3) سورة النور : آية : ٧ .

(4) سورة الزمر : جزء آية : ٣٢ .

(5) سورة الزمر : جزء آية :٦٠ .

٤ ــ المخالفــة :

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ** ﴾ [١] ، أي : رَدّ وخُلف .

٥ ــ النفــاق :

ومنه قوله تعالى في شأن المنافقين : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّـهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّـهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّـهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ [٢] .

أي ينافقون .

وقوله تعالى : ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّـهِ وَاللَّـهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّـهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ** ﴾ [٣][٤]. أي: مخادعون ؛ ذلك أن المنافقين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم .

وهذا المعنى : الكذب بمعنى النفاق ؛ يتناسب مع سياق آيات السورة الكريمة ، بدليل قوله تعالى ، في بيان صفات المكذب بالدين : ﴿

---

(١) سورة الواقعة : آية : ٢ .

(٢) سورة البقرة : الآيات : ٨ ــ ١٠ .

(٣) سورة المنافقون : آية : ١ .

(٤) يُراجع : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . تأليف : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي . تحقيق : محمد علي النجار ٤/ ٣٤٠ (بتصرف) . الناشر : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ــ لجنة إحياء التراث الإسلامي ــ القاهرة . عام النشر ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م .

فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾[1].

فالمصلي المُرائي ليس مكذبًا بالدين ، بمعنى منكرًا للدين، لكن المصلي الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، .. . إلى آخر الصفات المذكورة : منافقًا ، يقول بلسانه ما ليس في قلبه ؛ لأن الإيمان الذي يستقر في القلب يتنافى مع هذه الأفعال المذكورة من دع اليتيم ، وعدم الحض على طعام المسكين .. . إلى آخر ما ذُكر بالسورة الكريمة . فهو مع هذه الأفعال يصلي ؛ لكنه يُصلي مراءاة للناس ، والرياء من صفات المنافقين، كما أخبر الله تعالى عنهم : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** ﴾ [2] .

﴿ **بِالدِّينِ** ﴾ : ورد لفظ الدين في القرآن الكريم بعدة معانٍ ، منها :

١ ــ الحساب والجزاء :

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿**يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ** .. . ﴾ [4] ، وقوله تعالى : ﴿**أَإِذَا مِتْنَا**

([1]) سورة الماعون : الآيات : ٤ ــ ٦ .

([2]) سورة النساء : آية : ١٤٢ .

([3]) سورة الفاتحة : آية : ٤ .

([4]) سورة النور: جزء آية : ٢٥ .

وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾[1]، أي : لمحاسبون [2]. وقوله تعـــالى: ﴿ **فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ** ﴾[3]، أي : فهلا إن كنتم غير محاسبين [4].

٢ ــ العبـــادة :

ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّـــهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ** ﴾ [5] ، وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّـــهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ .. .** ﴾ [6] ، أي العبادة [7] .

٣ ــ الطاعــة :

ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّـــهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ .. .** ﴾ [8] أي : طاعة [9] .

([1]) سورة الصافات : آية : ٥٣ .

([2]) تفسير مقاتل ١/ ٣٦ ، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٣١ .

([3]) سورة الواقعة : آية : ٨٦ .

([4]) تفسير القرطبي ١٧/ ٢٣١ .

([5]) سورة الزمر : آية :١١ .

([6]) سورة البينة : جزء آية : ٥ .

([7]) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٤٤ .

([8]) سورة النساء : جزء آية : ١٢٥ .

([9]) المفردات في غريب القرآن . تأليف : أبو القاسم الحسين بـــن محمـــد المعـــروف بالراغب الأصفهاني . تحقيق : صفوان عدنان الـــداودي ص ٣٢٣ ، الناشـــر : دار= =القلم ، الدار الشامية ــ دمشق . بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ، بصـــائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/ ٦١٦ .

وهذا المعنى يدخل تحت معنى العبادة أيضًا ، ذلك أن " الدين : اسم لجميع ما يُتعَبّد الله به " [1] . والطاعة عبادة .

٤ ــ الملــة والعقــيــدة :

ومن ذلك : قول الله تعالى : ﴿ **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ [2] .

أي لكم عقيدتكم التي تعتقدونها ، فالدين يُطلق بمعنى العقيدة التي يعتقدها الإنسان ويدين بها، وبمعنى الملة التي تجري أقواله وأفعاله على مقتضاها[3] .

أمــا عــن المراد بــ ﴿ **الدِّينِ** ﴾ فــي الآيــة الكريمة التي معنا من سورة الماعون: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّيــنِ**﴾ [4]، فقــد ذكر المفسرون فيه وجوهًا:

أحدها : وهو قول أكثر المفسرين، أن المراد بــ ﴿ **الدِّينِ** ﴾ في هذه الآية: الحساب والجزاء [5] .

ذلك أن هذه الأفعال المذكورة بالسورة ، من : دع اليتيم ، وعدم الحض على طعام المسكين والسهو عن الصلاة ، والمراءاة بالأعمال ، ومنع

---

(1) بصائر ذوي التمييز ٢/ ٦١٦ .

(2) سورة الكافرون : آية : ٦ .

(3) يُراجع : التفسير الوسيط . تأليف : د . محمد سيد طنطاوي ١٥/ ٥٢٧ .

(4) سورة الماعون : آية : ١ .

(5) يُراجع : تفسير مقاتل ٤/ ٨٧١ ، تفسير الطبــري ٢٤/ ٦٢٩ ، تفســير البغــوي ٥/٣١٢ ، تفسير الرازي ٣٢/ ٣٠٢ ، تفسير القرطبي ٢٠/ ٢١٠ الســراج المنيــر ٤/٥٩٣ ، فتح القدير ٥/ ٦١١ .

الماعــون ، كلها من شأن المكذب بالحساب والجزاء [1] ، الذي لا يُبالي ولا يخشى حسابًا على هذه الأعمال القبيحة . وفي هذا إيذان بأن الإيمان بالبعث والجزاء هو الوازع الحق الذي يغرس في النفس جذور الإقبال على الأعمال الصالحة حتى يصير ذلك لها خُلقًا [2] .

ومن هنا نجد القرآن الكريم يقرر في آيات أخرى ــ أن اجتراء الإنسان على المعاصي والأفعال المنكرة ، مرجعه : عدم الاعتداد بالبعث والحساب والجزاء . ومن ذلك : إنكاره وتعجيبه من حال المطففين ، في الاجتراء على التطفيف ، وكــأنهم لا يخطر ببالهم أنهم مبعوثون ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَـئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [3] .

فقد بيَّنت هذه الآيات أيضًا أن تصديق الإنسان بالبعث والحساب والجزاء ، ومراعاته لذلك في جميع أعماله ، يكفي لصده ومنعه عن المعاصي والقبائح ، والإقبال على الخير والأعمال الصالحة ، وأن الغفلة عن الحساب والجزاء أصل لجميع المعاصي .

ــ **ثانيًا** : الوجه الثاني الذي ذكره المفسرون في المراد بـــ ﴿ **الدِّينِ** ﴾ فـــي قـــوله تعالى : ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ** ﴾ [4] : أن المـــراد بـــ

---

[1] يُراجع نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٢/ ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

[2] التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٦٥ .

[3] سورة المطففين : الآيات : ١ ــ ٦ .

[4] سورة الماعون : آية : ١ .

﴿الدِّينِ﴾ : نفس الدين [1] (الملة) [2] . ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات ، وترك السيئات [3] .

والمعنيان متلازمان؛ لأن التكذيب بالدين ، بمعنى نفس الدين ، أو الملة، يقتضي التكذيب بالحساب والجزاء .

وكذلك التكذيب بالحساب والجزاء ؛ يُعد تكذيبًا بالدين ؛ لأن الإيمان بالحساب والجزاء ركن من أركان الدين .

هــذا ، وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازي ــ رحمه الله ــ ما يفيد ترجيح الوجه الأول لدى المفسرين، في المراد بالدين . وهو أن المراد بالدين : الحساب والجزاء . حيث قال عنه ، بعد أن نص على أنه قول أكثر المفسرين : " قالوا : وحمله على هذا الوجه أولى ؛ لأن مَنْ يُنكر الإسلام قد يأتي بالأفعال الحميدة ويحترز عن القبائح إذا كان مُقرًا بالقيامة والبعث. أما المُقدم على كل قبيح من غير مبالاة ، فليس هو إلا المنكر للبعث والقيامة " [4] .

وهذا الكلام للإمام فخر الدين الرازي ، مفاده أن التكذيب في الآية بمعنى الإنكار .

---

(1) تفسير الفخر الرازي ٣٢ /٣٠٢ .

(2) التسهيل لعلوم التنزيل . تأليف : أبو القاسم محمد بــن أحمد بــن محمد بن عبــد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي ــ تحقيق : د . عبد الله الخالدي ٥١٦/٢ ، الناشــر : شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٦هــ .

(3) المرجع السابق .

(4) تفسير الرازي ٣٢ / ٣٠٢ .

وأرى ــ والله تعالى أعلم ــ أن السورة الكريمة لا تتحدث عن المكذب بالدين ، المنكر للدين ، بدليل أن الأفعال المذكورة في صفات المكذب بالدين بالسورة الكريمة ، ليست خاصة بالعقيدة ، بل إنها تشمل الأخلاق ، والعبادات ، والعقيدة ، والمعاملات ، تشمل جميع جوانب الدين من الناحية العملية التطبيقية في واقع الناس وحياتهم .

وهذا يؤيد أن التكذيب المذكور ليس بمعنى الإنكار وعدم التصديق ، وأن الأنسب لسياق الآيات وللأفعال المذكورة في صفات المكذب بالدين، أن يكون التكذيب بمعنى النفاق ، وأن السورة الكريمة تتحدث عن المنافق المخادع بالدين الذي أقر بلسانه ، لكن أفعاله في الواقع تتنافى مع إقراره ، فهو مكذب : منافق مخادع بالدين ؛ يتظاهر بالعبادة ، فيؤديها شكلاً ظاهريًا وقلبه لا يعرف الرحمة ، حيث يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، غافل عــن حقيقة العبادة التي يؤديها مراءاةً للناس ، كما أخبرت عنه الآيات ، وعن كل مَنْ كان على حاله ، ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ *الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ**﴾ (١).

المعنى الإجمالي :

أُفتُتِحت السورة الكريمة بهذا السؤال ، وبهذا الاستفهام المُشوّق إلى معرفة مـــا سَـــيُلقى مـــن الكـــلام : ﴿ **أَرَأَيْـــتَ الَّـــذِي يُكَـــذِّبُ بِالـــدِّينِ** ﴾ (٢) . وفي افتتاح السورة الكريمة بهذا الاستفهام المُشوق إلى معرفة ما سَـــيُلقى

(١) سورة الماعون : الآيات : ٤ ــ ٦ .

(٢) سورة الماعون : آية : ١ .

من الكلام : " توقيف وتنبيه للسامع ؛ لتتذكر نفس السامع كل مَنْ يعرفه بهذه الصفات " [1] .

وتوقيف وتنبيه للسامع ؛ ليتفكر في نفسه أيضًا ، وليتأمل حقيقة التكذيب بالدين التي أوضحتها هذه السورة الكريمة ، من خلال هذه الصفات ، التي قد يتهاون بها كثير من الناس ؛ وذلك لما شاع فهمه لديهم ، أنه يكفي المرء تصديق بالدين : النطق بالشهادتين ، وتأدية العبادات المفروضة من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وأن المكذب بالدين هو من يجحد ذلك .

فكان في افتتاح السورة بهذا الاستفهام عما يظنه كثير من الناس واضحًا معلومًا، لا يحتاج إلى بيان: تنبيهًا وتوقيفًا للسامع ، وإثارة للانتباه، وتشويقًا إلى ما سَيُلقى من الكلام ، وإلى معرفة حقيقة هذا الأمر المُستَفهم عنه ، ماذا يكون التكذيب بالدين غير ما هو معلوم ؟، ثم تأتي الإجابة عن هذا السؤال ، من خلال ذكر عدة صفات لا يتوقعها السامع ، حتى إذا ما سمعها ، أثارت انتباهه وتفكيره بما تُثيره من تعجب وتساؤل : كيف يكون التكذيب بالدين هو هذه الأفعال المذكورة التي وصف الله بها المكذب بالدين ؟

وأول هذه الصفات : قسوة القلب ، التي أشارت إليها الآية الكريمة :

﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾ [2] .

---

[1] تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز) ٥/ ٥٢٧ .

[2] سورة الماعون : آية : ٢ .

ــ المفردات :

﴿ فَذَلِكَ الَّذِي ﴾ :

﴿ فَذَلِكَ ﴾ إشارة إلى الذي يكذب [١] .

والإشارة إلى الذي يُكذب بالدين ؛ باسم الإشارة ، لتمييزه أكمل تمييز حتى يتبصر السامع فيه وفي صفته .

أو : لتنزيله منزلة الظاهر الواضح ، بحيث يُشار إليه [٢] .

﴿ يَدُعُّ ﴾ :

الدع : الدفع العنيف [٣] .

يُقال : دعّه يدعّه دعّــاً : إذا دفعه دفعًا شديدًا [٤] .

ومنه قوله تعالى في شأن المكذبين: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[٥].

والمعنى : أنهم يُدْفَعُون إلى النار دفعًا عنيفًا شديدًا [٦] .

([١]) البحر المحيط في التفسير . تأليف : أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي . تحقيق : صدقي محمد جميل ١٠/٥٥٤ ، الناشر : دار الفكر ــ بيروت . تاريخ الطبعة : ١٤٢٠هــ .

([٢]) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٦٤ .

([٣]) الكشاف ٤/ ٤٠٩ ، فتح القدير ٥/ ١١٥ .

([٤]) تفسير ابن فورك . تأليف : محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني أبــو بكر ٣/ ٢٨١ ، الناشر : جامعة أم القرى ــ المملكة العربية السعودية .

([٥]) سورة الطور : آية : ١٣ .

([٦]) فتح القدير : ٥/ ١١٥ .

﴿ الْيَتِيمَ ﴾ :

اليتيم يُطلق على مَــنْ فقد أباه أو أمه، والأغلب إطلاقه على مَنْ فقد أباه.

وأصله : الانفراد ، يُقال : دُرَّة يتيمة ، أي : منفردة بالحسن ، ليس لها نظير . وصبي يتيم : أي منفرد من أبيه [١] .

ومعنى قوله تعالى في شأن المكذب بالدين : ﴿ يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ : أي : يدفعه دفعًا عنيفًا[٢] . وهذا الدفع يحتمل أن يكون عن إطعامه والإحسان إليه أو عن ماله وحقوقه [٣] .

وعن قتادة ، قال : ﴿ يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ : أي : يقهره ويظلمه [٤] .

وفي قوله تعالى : ﴿ يَدُعُّ ﴾ بالتشديد فائدة ، وهي أن يَدُعُّ بالتشديد معناه أنه يعتاد ذلك [٥]. وهذا المعنى أفاده التشديد ، كما أفاده التعبير بصيغة المضارع (يدع) التي تفيد تكرر ذلك منه ودوامه[٦] .

([١]) يُراجع : تفسير ابن فورك ٣/ ٢٢٣ ، تفسير القرطبي ٢/ ١٤ ، التحرير والتنوير ٤/ ٢١٩ .

([٢]) الكشاف ٤/ ٨٠٤ ، تفسير البيضاوي ٥/ ٣٤١ ، تفسير ابن جزي (التسهيل لعلوم التنزيل) ٢/ ٥١٦ ، البحر المديد ٧/ ٣٥٩ .

([٣]) تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز) ٥/ ٥٢٧، تفسير ابن جزي (التســـهيل لعلــوم التنزيل) ٢/ ٥١٦ .

([٤]) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٣٠ ، تفسير القرطبي ٢٠/ ٢١١ .

([٥]) تفسير الرازي ٣٢/ ٣٠٢ .

([٦]) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٦٥ .

ـ المعنى الإجمالي :

قوله تعالى : ﴿ **فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ** ﴾ [1] : بيان لأول صفات المكذب بالدين ، ففي قوله تعالى: ﴿**يَدُعُّ الْيَتِيمَ**﴾ تصوير لأول صفاته ، ألا وهي : قساوة القلب وخلوه من الرحمة والشفقة ، والعطف على الضعيف ، ذلك أن دع اليتيم دليل على قسوة القلب وخلوه من الرحمة .

والسؤال الآن : كيف يكون دع اليتيم تكذيبًا بالدين ؟

والإجـــابة عن هـــذا السؤال تتضح من خلال نصوص القرآن الكريم ، العديدة، الواردة في شأن اليتيم ؛ حيث نجد القرآن الكريم قرر حق اليتيم في العديد من الآيات، كلها تدور حول رعايته والإحسان إليه ، وحفظ حقوقه .

ومـــن ذلـــك :

ـ ما جاء في حفظ حقوقه المالية ، في قوله تعالى : ﴿ **وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا** ﴾ [2] . أي إثمًا كبيرًا [3] .

كما حذر سبحانه من إتلاف مال اليتيم تحذيرًا شديدًا في قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾ [4] .

---

(1) سورة الماعون : آية : ٢ .

(2) سورة النساء : آية : ٢ .

(3) تفسير القرطبي ٥/ ١٠ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٨٢ .

(4) سورة النساء : آية ١٠ .

وهنا ذكر الله تعالى الأكل ، إلا أن المراد منه كل أنواع الإتلافات ، فإن ضرر اليتيم لا يختلف بأن يكون إتلاف ماله بالأكل ، أو بطريق آخر ، فالأكل يشمل كل التصرفات المُتلِفة [1] .

كما نجد عناية القرآن الكريم بحفظ مال اليتيم ، تمتد إلى النهي عن مجرد الاقتراب من ماله، إلا بالتي هي أحسن، وذلك في قوله تعالى من سورة الأنعام، وسورة الإسراء: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...**﴾ [2] .

أما عن آيات الإحسان إلى اليتيم ورعايته ، فهي كثيرة ، ومن ذلك : آيات الحث على الإنفاق عليه ، حيث جعل الله تعالي ، الإنفاق على اليتيم، خصلة من خصال البر ، في قوله تعالى : ﴿... **وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ** ... ﴾ [3] .

كما جعل سبحانه إطعام اليتيم أحد أعمال البر ، التي تكون بها النجاة من النار ، حين جعل إطعام اليتيم اجتيازًا للعقبة ، في قوله تعالى : ﴿ **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ** ﴾ [4] .

---

(1) تفسير الرازي ٩/ ٥٠٧ .

(2) سورة الأنعام : جزء آية : ١٥٢ ، وسورة الإسراء : جزء آية : ٣٤ .

(3) سورة البقرة : جزء آية ١٧٧ .

(4) سورة البلد : الآيات : ١١ ــ ١٥ .

وفي مقابل ذلك نجد التحذير من الإفساد في معاملة اليتيم ، في قوله تعالى : ﴿ ...وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّـــهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ... ﴾ [1] .

فقوله تعالى : ﴿ وَاللَّـــهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾ جملة معناها التحذير ، أخبر تعالى فيها ، أنه عالم بالذي يُفسد من الذي يُصلح ، ومعنى ذلك: أنه سبحانه يُجازي كلاً منهما علي الوصف الذي قـــام به [2] . يُضاف إلى التحذير من الإفساد في معاملة اليتيم ، أن الله تعـــالى جعل عـــدم إكـــرام اليتيم صـــفة مـــن الصـــفات التي يُذم عليها الإنسان ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [3] .

كل هذه النصوص ، وغيرها توضح كيف عُني القرآن ببيان حق اليتيم في البر والإحسان إليه.

هـــذا ، ويكفي في الحث على رعاية اليتيم ، وبره والإحسان إليه قوله سبحانه : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[4].

والأحاديث الواردة في الوصية باليتيم كثيرة .

من ذلك يتضح كيف جُعل دع اليتيم علامة من علامات التكذيب بالدين في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ* فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [5].

---

(1) سورة البقرة : جزء آية : ٢٢٠ .

(2) البحر المحيط ٢/٤١٣ ، ٤١٤ .

(3) سورة الفجر : آية : ١٧

(4) سورة الضحى : آية : ٩ .

(5) سورة الماعون : الآيات : ١ ، ٢ .

سواء أكان هذا الدع عن إطعامه والإحسان إليه ، أو عن ماله وحقوقه . كما تتضح الإجابة عن السؤال السابق ؛ ذلك أن مَنْ يُقر بلسانه أنه مصدق بالدين ، وبنصوصه التي تحث على الرحمة والعطف على اليتيم ، وهو في الواقع لا يُطبق شيئاً من هذه النصوص ، بل إنـــه يفعل ما يتنافى معها ، فيدع اليتيم ، ويقسو عليه ؛ هو مكذب بالدين ؛ لأنه لو صدق بالدين حقًا وبنصوصه ، واستقر التصديق في قلبه، ما فعل ذلك .

وجدير بالذكر أن بر اليتيم والإحسان إليه ، ليس مطلبًا في الإسلام فقط، بل إنه حق لليتيم، قررته الأديان السابقة على الإسلام أيضًا . ومن عظمة القرآن الكريم ، إخباره عن ذلك ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّـــهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ...** ﴾ (١) .

هـــذا ، وبعد الحديث عن دع اليتيم ، صفة من صفات المكذب بالدين ، تنتقل آيات سورة الماعون إلى بيان صفة أخرى من صفات المكذب بالدين، وهي : الشح ، المفهوم من قوله تعالى :

﴿ **وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ (٢)

ــ المفردات :

﴿ **يَحُضُّ** ﴾ : الحض : التحريض والحث (٣) .

---

(١) سورة البقرة : جزء آية : ٨٣ .

(٢) سورة الماعون : آية : ٣ .

(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٣ .

﴿ **عَلَىٰ طَعَامِ** ﴾ : أي على إطعام ، وُضع الطعام موضع الإطعام ، كما يوضع العطاء موضع الإعطاء [1] .

﴿ **الْمِسْكِينِ** ﴾ : الفقير الذي لا شيء له يقوم بمعيشته وكفايته [2] .

الشرح والتوضيح :

في هذه الآية الكريمة ، ذكرت السورة صفة أخرى ؛ بعض الناس في غفلة عنها ، مع العلم بأن الله تعالى عَدَّها صفة من صفات المكذب بالدين، وهي عدم الحض على طعام المسكين ، ويقاس على ذلك عدم الحض على فعل الخير عمومًا .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ : ولا يحث غيره على إطعام المحتاج [3] .

وفي قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَحُضُّ** ﴾ إشارة إلى أن هذا الذي لا يحض على طعام المسكين ، هو لا يفعل ذلك ، فلا يُطعم إذا قدر على الإطعام ، وهذا من باب الأولى ؛ لأنه إذا لم يحض غيره بُخلاً ؛ فلأن يترك هو ذلك فِعلاً أولى وأحرى [4] .

فهذا التعبير: ﴿**وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ به دلالة على أن هذا الذي لا يحض على طعام المسكين ، يتصف بالشُح ؛ الشُح الذي يمنعه من

---

(1) تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٢ ، فتح القدير ٥/ ٣٤٠ .

(2) يُراجع تفسير ابن كثير ٨/ ٤٦٧ .

(3) تفسير الطبري ٢٤/ ٦٣٠ .

(4) يُراجع : البحر المحيط في التفسير ١٠/ ٥٥٢ (بتصرف) .

فعل الخير، ويجعله لا يحث غيره على ذلك ، فهو مناع للخير، لا يحث على إطعام المسكين لأن في نفسه شُح وبُخل.

كما أن في ذِكر الحض دون الفعل: ﴿**وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾ ، وليس : ولا يُطعم المسكين ؛ ما يُفيد أن الذم موجه إلى من ترك إطعام المسكين بخلاً وشُحًا، مع القدرة عليه، فلا يتناول الذم من ترك ذلك عجزًا[1] .

وبهذا التعبير البليغ صورت الآية الكريمة صفة الشُح التي عَدَّها الحق سبحانه صفة من صفات المكذب بالدين .

وفي معنى هذه الآية :

قوله تعالى ـــ في سورة الحاقة ـــ في سياق الحديث عمن أوتي كتابه بشماله ؛ وبيان أسباب سوء مصيره : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّـــهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ [2] .

وجدير بالذكر ، أن ذِكر هذه الصفة ﴿ **وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ** ﴾ صفة من صفات المكذب بالدين في هذه السورة ـــ سورة الماعون ـــ ، وسببًا من أسباب سوء العاقبة والمصير؛ في سورة الحاقة : إشارة إلى ما لرعاية المساكين والعطف عليهم من تقدير واعتبار في مقام الإيمان ؛

---

(1) تفسير القرطبي ٢٠/ ٢١١ (بتصرف) .

(2) سورة الحاقة : الآيات : ٣٣ ، ٣٤ .

حيث جاء ذلك في سورة الحاقة بعد الإيمان بالله ، معطوفاً عليه ، وموازناً له . وهذا يعني أن من الإيمان بالله : العطف والإحسان إلى عباد الله [١] .

وهــذا مــا يوضــح قــول الحــق تبــارك وتعــالى فــي سياق الحديــث عن صفات الأبرار ﴿**وَيُطْعِمُــونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ [٢] ، ثــم بيَّنت الآيات أن وازعهم في ذلك : الإيمان بالله تعالى ، حيث قالوا ؛ كما أخبرت الآيات عنهم : ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّــهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا *إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا** ﴾ [٣] .

وإذا تدبرنا هذه الآيات الكريمة ، من سورة الإنسان التي بيَّنت أن إطعام المسكين سبب من أسباب استحقاق الأبرار أعلى درجات النعيم ، مع آيات سورة البلد ، التي بيّنت أن إطعام المسكين عمل من الأعمال التي يجتاز بها الإنسان العقبة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ* أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ**﴾ [٤] ، حيث ذُكر إطعام المسكين إحدى القُرب التي تكون بها النجاة من النار .

إذا تدبرنا ذلك ، مع آيات سورة الفجر التي ورد الذم فيها على عدم الحض على طعام المسكين ، في قوله تعالى : ﴿ **كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ**

---

(١) التفسير القرآني للقرآن . تأليف: عبد الكريم يونس الخطيب ١١٤٦/١٥ ، الناشر: دار الفكر العربي ــ القاهرة .

(٢) سورة الإنسان : آية : ٨ .

(٣) سورة الإنسان : الآيات : ٩ ، ١٠ .

(٤) سورة البلد : الآيات : ١١ ــ ١٦ .

* ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [1] . مع آيات سورة الحاقة التي بيَّنت أن عدم الحض على طعام المسكين ، من أسباب سوء المصير ، وذلك في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ الْعَظِيمِ *وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [2] وآيات سورة المدثر : ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ *قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [3] . مع آيات سورة الماعون ، التي بيَّنت أن عدم الحض على طعام المسكين علامة من علامات التكذيب بالدين، حيث قال تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ* فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ* وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [4] .

إذا تدبرنا كل ذلك ، أدركنا مدى عناية القرآن الكريم بهذا الأمر ؛ لما له من أهمية كبيرة في حفظ أمن المجتمع واستقراره خاصة وأنه لا يخلو مجتمع من المجتمعات من مساكين محتاجين إلى الإحسان، قد يتسبب إهمالهم في تهديد أمن المجتمع واستقراره .

ومن هنا عُني القرآن الكريم عناية فائقة بالمسكين وأكد على حقة في العديد من المواضع . كما قرن حقه بحق اليتيم في العديد من المواضع ؛ لمزيد عناية . ويكفي في بيان حق المسكين : أن الله تعالى شرع ما يكفل حفظه ورعايته ، حيث جعل له سهمًا في الصدقات ، واختصه بالطعام أو الكسوة في الكفارات . وحذر من إهماله وعدم الحض على إطعامه . بل

---

(1) سورة الفجر : الآيات : ١٧ ــ ١٨ .
(2) سورة الحاقة : الآيات : ٣٣ ــ ٣٦ .
(3) سورة المدثر : الآيات : ٤٢ ــ ٤٤ .
(4) سورة الماعون : الآيات : ١ ــ ٣ .

جعل ذلك آية من آيات التكذيب بالدين ، في هذه السورة الكريمة ؛ سورة الماعون التي نبهت إلى أهمية هذا الأمر من الدين .

وبهذه الصفة التي عدها الله تعالى من صفات المكذب بالدين ، تتضح قيمة الحث على فعل الخير ؛ التي مدح الله تعالى المؤمنين بها ، بقوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ** ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ **إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ [2] .

هـذا ، وبالنظر في أول علامات التكذيب بالدين ، التي ذكرتها السورة الكريمة ، في قوله تعالى : ﴿ .. . **يَدُعُّ الْيَتِيمَ** ﴾ [3] ، ثم العلامة الثانية المذكورة في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾[4] ، نجد ارتباطًا وثيقًا بين هاتين العلامتين، من علامات التكذيب بالدين ؛ ذلك أن القسوة الدافعة إلى دع اليتيم ، هي مظهر من مظاهر الشُح الدافع إلى عدم فعل الخير والحث عليه . كما نجد ارتباطًا واضحًا بين دع اليتيم ، وعدم الحض على طعام المسكين ، والعلامة الثالثة من علامات التكذيب بالدين ، وهي :

الغفلة عن حقيقة العبادة التي أوضحتها السورة الكريمة ، في الآيات التالية ، وذلك في قوله تعالى :

---

(1) سورة البلد : آية : ١٧ .

(2) سورة العصر : آية : ٣ .

(3) سورة الماعون : جزء آية : ٢ .

(4) سورة الماعون آية : ٣ .

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ [1] .

ـ المفردات :

﴿ **وَيْلٌ** ﴾ : الويل كلمة تُقال لكل من وقع في عذاب أو هَلَكة .

وأصل الويل في اللغة : الهلاك والعذاب[2] . ومعنى ﴿ **وَيْلٌ** ﴾ في هذه الآية : أي عذاب لهم ، أو هلاك ، أو واد في جهنم لهم [3] .

﴿**سَاهُونَ**﴾: سَهَا عن كذا يَسْهُو سَهْواً: لَهَا عنه وتركه عن غَفْلَة[4]. ومعنى ﴿ **عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ : أي غافلون غير مبالين بها [5] .

وللمفسرين في المراد بقوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ** سَاهُونَ ﴾ عدة أقوال :

ـ القول الأول :

أن المراد بقوله تعالى : ﴿ **عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ أنهم يؤخرونها عن وقتها ، فلا يصلونها إلا بعد خروج وقتها . وهذا القول مروي عن ابن عباس ، ومسروق .

---

(1) سورة الماعون : الآيات : ٤ ، ٥ .

(2) تهذيب اللغة. تأليف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي ، أبو منصور. تحقيق : محمد عوض مرعب ١٥/٣٢٦ ، ٣٢٧ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت. الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

(3) فتح القدير للشوكاني ٥/ ٦١٢ .

(4) البحر المحيط في التفسير ١٠/ ٥٥١ .

(5) تفسير البيضاوي ٥/ ٣٤١ ، تفسير أبي السعود ٩/ ٢٠٤ ، فتح القدير للشوكاني ٥/ ٦١٢ .

ـ القول الثاني :

أن المراد بالآية : أنهم يتركونها فلا يصلونها . حيث رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، في قوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ قال: هم المنافقون يتركون الصلاة في السر ويُصلون في العلانية .

ـ القول الثالث :

أن المراد بـ ﴿ **عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ : أنهم يتهاونون بها ويتغافلون عنها ويلهون . وهذا القول مروي عن مجاهد وقتادة [1] .

ـ وقيل المعنى : فويل للمنافقين الذين يدخلون أنفسهم في جملة المصلين صورة ، وهم غافلون عن حقيقة صلاتهم ؛ لأنهم لا يريدون بها قربة إلى ربهم ولا تأدية لفرض ، وإنما يؤدون حركات الصلاة دون حضور القلب، ويُظهرون للناس أنهم يؤدونها [2] .

واللفظ يشمل ذلك كله ، إما ساهون عن وقتها ، فيؤخرونها إلى آخر الوقت ، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها . ولكل مَنْ اتصف بشيء من ذلك قِسط من هذه الآية ، ومَنْ اتصف بجميع ذلك ؛ فقد تم له نصيبه منها ، وكمل له

---

(1) يُراجع : جامع البيان للطبري ٢٤/٦٣٠ ــ ٦٣٢ ، تفسير الماوردي ٦/٣٥١ ، ٣٥٢ ، تفسير البغوي ٨/ ٥٥٢ .

(2) يُراجع : تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) تأليف : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي . تحقيق : يوسف علي بديوي . راجعه وقدم له : محيي الدين ديب مستو ٣/ ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، الناشر : دار الكلم الطيب ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م (بتصرف) .

النفاق العملي ؛ لأن من اتصف بذلك ما حمله على أداء الصلاة إلا مراءاة الناس ، لا ابتغاء وجه الله ، كما قال تعالى : ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [1] ، وفي هذه السورة : ﴿ **الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ** ﴾ [2] ، فصلاتهم مجرد أداء لشكل الصلاة ، ومَنْ صلى كذلك ، فهو كما إذا لم يصل بالكلية [3] .

من كل هذه الأقوال ، نخلص إلى أن المعنى الأنسب لسياق آيات السورة الكريمة ، في قوله تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ أن معنى ساهون : أي غافلون عن حقيقة الصلاة ، وهذا المعنى مُستفاد من الآيات؛ حيث عبرت الآيات عنهم بـ ﴿**الْمُصَلِّينَ**﴾، كما وصفتهم بـ ﴿ **الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ** ﴾ وليس: عن الصلاة . وفي هذا ما يُفيد أنهم يصلون ، لكنهم غافلون عن غاية هذه العبادة وأثرها في حياتهم . فهم ساهون ، أي : غافلون عن حقيقة هذه العبادة وغاياتها .

"وسماهم الله تعالى : ﴿**مُصَلِّينَ**﴾ ؛ لأنهم أتوا بصورة الصلاة " [4] .

---

(1) سورة النساء : آية : ١٤٢ .

(2) سورة الماعون : آية : ٦ .

(3) يُراجع تفسير ابن كثير ٨/ ٤٦٨ (بتصرف) .

(4) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) تأليف : محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني ١/ ٤٨ ، الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب . سنة النشر : ١٩٩٠م .

ومناسبة هذه الآيات ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ*الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ بين الأعمال المذكورة بالسورة الكريمة : دع اليتيم ، عدم الحض على طعام المسكين ، الرياء ، منع الماعون : أن الغفلة عن حقيقة العبادة وأثرها في حياة الإنسان ، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بهذه الأعمال المذكورة ؛ لأن الصلاة التي انتفع صاحبها بأثرها وثمرتها في تزكية نفسه وتهذيب سلوكه ، تشيع في حياته الرحمة وتشيع في أعماله الخير ، وحب الخير للأخرين ، فلا يفعل هذه الأفعال المذكورة .

يُفسر ذلك ، قــوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [١] إلى آخر الآيات المذكورة في شأن المصلين ، في هذه الآيات من سورة المعارج .

ويُفسر ذلك أيضًا ، قوله تعالى : ﴿ .. . **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** .. . ﴾ [٢] . وبهذا تتضح العلاقة بين الصلاة وسائر خِصال البر ، كما تتضح العلاقة بين السهو عن الصلاة والأفعال المذكورة بالسورة ــ سورة الماعون ــ .

---

(١) سورة المعارج : الآيات : ١٩ ــ ٢٦ .

(٢) سورة العنكبوت : جزء آية : ٤٥ .

هــذا ، والجمع في قوله تعالى : ﴿ **الْمُصَلِّينَ** ﴾ ، ﴿ **سَاهُونَ** ﴾ ، والحديث أول السورة عن الذي يكذب بالدين ، وهو واحد ؛ لأن المراد جنس من يُكذب بالدين [١] .

المعنى الإجمالي :

أشــارت الســورة الكريمــة فــي هــذه الآيــات إلى علامــة أُخــرى مــن علامات التكذيب بالدين ، وهي : الغفلة عن حقيقة العبادة . هذه العلامة التي تُصور قضية اجتماعية مهمة ، وهي : انفصال العبــادة عــن الحياة ، بحيث لا تحقــق غاياتها ومقاصــدها وأثــارها فــي حياة الناس وعلاقاتهم ومعاملاتهم ، وإنما تؤدى أداءً ظاهريًا فقط .

وفي هذه الآيات الكريمة التي تُنذر مصلين بالويل ، نجد السورة الكريمة توضح حقيقة العبادة ، حيث عدت السورة هذه الصلاة التي لا أثر لها في قلوب المصلين وأعمالهم علامة من علامات التكذيب بالدين بل إنها عمل ينتظره سوء المصير ، وتوعدت عليه بالويل : ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ أي : ويل لمن يؤدي الصلاة بجسمه ولسانه ، من غير أن يكون لها أثر في نفسه ، ومن غير أن تؤتي ثمرتها التي شُرعت لأجلها ؛ لأن قلبه غافل عما يقوله اللسان وتفعله الجوارح .... فصلاته ، إنما هي حركات اعتادها ، وكلمات حفظها، لا تدرك نفسه

---

(١) يُراجع : الكشاف ٤/ ٨٠٥ ، التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٦٧ .

معناها، ولا تصل إلى معرفة ثمرتها [1]. فهو ساه عن صلاته وهو يؤديها؛ لأنه يؤديها لا يقيمها ، والمطلوب : إقامة الصلاة لا مجرد الأداء فقط .

ولهذا نجد الحق سبحانه يأمر بالصلاة ، ويمدح بها ، بلفظ الإقامة ، كما في قوله تعالى: ﴿... وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ...﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّـهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [4] .

أما في بيان علامات التكذيب بالدين ، جاء التعبير بالمصلين ، فقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[5]، وذلك تنبيه أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل [6] .

---

(1) تفسير المراغي . تأليف : أحمد بن مصطفى المراغي ٣٠ / ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر . الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ ــ ١٩٤٦م .

(2) سورة العنكبوت : جزء آية : ٤٥ .

(3) سورة المائدة : آية : ٥٥ .

(4) سورة الأنفال : الآيات : ٢ ، ٣ .

(5) سورة الماعون : الآيات : ٤ ، ٥ .

(6) تفسير الراغب الأصفهاني . تأليف : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني . تحقيق ودراسة : د . محمد عبد العزيز بسيوني ١/ ٨١ ، الناشر : كلية الآداب ــ جامعة طنطا . الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م .

وبهذه الآيات بيَّنت السورة الكريمة أن أي عبادة افتقدت تحقيق الغرض والأثر المقصود منها ؛ فلا فائـــدة منها ، ولا قيمة لها فـــي الدين ، بل إنها علامة من علامات التكذيب بالدين ، تُنذر صاحبها بالويل .

ثم تنتقل آيات السورة الكريمة إلى بيان علامة أُخرى من علامات التكذيب بالدين ، وهي : الرياء .

وذلك في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ** ﴾ (١) .

ـ المفردات :

﴿ **يُرَاءُونَ** ﴾ : المراءاة مفاعلة من الإراءة ؛ لأن المرائي يُري الناس عمله، وهم يرونه الثناء عليه والإعجاب به (٢) .

وحقيقة الرياء : طلب ما في الدنيا بالعبادة ، وأصله : طلب المنزلة في قلوب الناس (٣) .

ـ المراد بالرياء في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ** ﴾ :

المراد بقوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ** ﴾ : فيه وجهان :

---

(١) سورة الماعون : آية : ٦ .

(٢) الكشـــاف ٨٠٥/٤ ، وتفسير الرازي ٣٠٥/٣٢ ، تفسير النســـفي ٦٨٥/٣ .

(٣) اللباب في علوم الكتاب . تأليف : أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عـــادل الحنبلي الدمشقي النعماني . تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علـــى محمد معوض ٢٠/ ٥١٧ ، الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان . الطبعـــة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .

أحدهما : المنافقون الذين يُراءون بصلاتهم ، يُصلونها مع الناس إذا حضروا ، ولا يُصلونها إذا غابوا .

الثاني : أنه عام في ذم كل مَنْ راءى بعمله ولم يقصد به إخلاصًا لوجه ربه [1] .

ـ المعنى الإجمالي :

انتقلت سورة الماعون بهذه الآية الكريمة ﴿ **الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ** ﴾ إلى بيان علامة أُخرى من علامات التكذيب بالدين ، وهي الرياء ؛ هذه الصفة التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بما قبلها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ [2] ؛ ذلك أن المصلي ، الغافل عن حقيقة العبادة ، هو في غفلة عن حقيقة العبادة وقيمتها وغاياتها وأثرها في نفسه ، وفي حياته ومعاملاته ؛ لأنه إنما يؤديها مراءاة للناس ، وتظاهرًا بالعبادة والتدين ، فهو في غفلة عن العبادة التي يؤديها ؛ لأن غرضه بأدائها : الرياء فقط .

([1]) يُراجع : تفسير الماوردي (النكت والعيون). تأليف: أبو الحسن على بن محمد بن محمد بن حبيب االبصري البغدادي الشهير بالماوردي . تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ٦/ ٣٥٢ ، الناشر : دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ، تفسير العز بن عبد السلام (تفسير القرآن) . تأليف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء . تحقيق : الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي ٣/ ٤٩٤ ، الناشر : دار ابن حزم ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٦هــ ــ ١٩٩٦م ، فتح القدير ٥/ ٦١٢ .

([2]) سورة الماعون : الآيات : ٤ ، ٥ .

وهذا الرياء الذي عدته السورة الكريمة ــ سورة الماعون ــ علامة من علامات التكذيب بالدين ، محبط للأعمال بنص القرآن الكريم ، حيث قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّـهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [١] .

وفي مقابل هذه الآيات التي صورت أثر الرياء في إحباط وإبطال الأعمال ، نجد صورة مقابلة، توضح أثر الإخلاص في قبول الأعمال ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّـهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [٢] .

فمن خلال هذه المقابلة بين المنفق رياءً ، والمنفق ابتغاء مرضاة الله ، مخلصًا في عمله ، تتضح منزلة الإخلاص وأثره في قبول الأعمال ، حيث قررت الآيات الكريمة حقيقة مهمة ، وهي أن أي عمل مهما عظم قدره ؛ قصد به صاحبه الرياء ، فلا قيمة له . وأن أي عمل مهما قلّ ؛ قصد به صاحبه ابتغاء مرضاة الله وأخلص فيه لله تعالى، فهو مقبول ومأجور عليه.

هـذا، ولا يقتصر أثر الرياء في العمل ، على إبطاله وإحباط ثوابه فقط، بل إن الرياء في العمل ، ــ مهما عظم قدره ــ ، يؤدي بالمرائي إلى النار

(١) سورة البقرة : آية : ٢٦٤ .

(٢) سورة البقرة : آية : ٢٦٥ .

والعياذ بالله ، كما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، أن رسول الله ﷺ قال: ((إن أول الناس يُقضَى يوم القيامة عليه رجل استُشهِدَ ، فأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نِعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال: قاتلت فيك حتى استُشهِدت قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يُقال : جرئ ، فقد قيل ، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار . ورجل تعلم العلم ، وعَلَّمه وقرأ القرآن ، فأُتي به ، فَعَرَّفَهُ نِعمَهُ فعَرَفَها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال: تعلمتُ العلم ، وعَلَّمتُهُ وقرأت فيك القرآن . قال: كَذَبتَ، ولكنك تعلمت العلم ليُقال: عالم ، وقرأت القرآن ليُقال: هو قارئ ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار . ورجل وسَّعَ الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال كله ، فأُتي به فَعرَّفَهُ نِعمه فعَرَفها ، قال: فما عملت فيها ؟ قال: ما تركت من سبيل تُحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليُقال : هو جَوَاد ، فقد قيل ، ثم أُمر به فسُحب على وجهه ، ثم أُلقى في النار)) [1] .

فهذا الحديث يُفسر معنى الرياء الذي عدته السورة الكريمة أحد علامات التكذيب بالدين، في قوله تعالى: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ**﴾ [2] ، والمعنى: ﴿**الَّذِينَ هُمْ**

([1]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٣) كتاب الإمارة باب : (٤٣) من قاتل للرياء والسمعة استحق النار . حديث رقم : (١٩٠٥/ ١٥٢) ٣/ ١٥١٣. [المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ . تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ــ بيروت] .

([2]) سورة الماعون : الآيات : ٤ ــ ٦ .

يُرَاءُونَ﴾ يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها [1] . فلا يعملون العمل طاعة لله تعالى ، وإنما لقصد الرياء والسمعة .

هــذا ، وفــي قــوله تعــالى : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّــهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ .. .** ﴾ [2] ، ما يوضح كيف جُعل الرياء أحد علامات التكذيب بالدين في هذه السورة الكريمة .

وهنا سؤال ؛ وهو :

أن العبد يعمل العمل خالصًا لله تعالى ، ثم يطلع عليه بعض الناس، فيحسنون الثناء عليه ، فيسره ذلك. فهل يُعد هذا من الرياء ؟

والإجابة على ذلك ، في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ، ويحمده الناس عليه ؟ قال : " تلك عاجل بُشرى المؤمن " [3] [4] .

([1]) يُراجع : تفسير االبيضاوي ٥/ ٣٤١ ، التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٦٨ .

([2]) سورة البينة : جزء آية : ٥ .

([3]) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٥) كتاب البر والصلة والآداب . بـــاب: (٥١) إذا أُثنى على الصالح فهي بُشرى ولا تضره حديث رقم : (١٦٦/٢٦٤٢) ٢٠٣٤/٤ .

([4]) يُراجع : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. تأليف: محمد الأمين بن محمــد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ١٢١/٩ ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ــ بيروت ــ لبنان . عام النشر: ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م .

والمعنى : هذه البُشرى المُعجلة له بالخير وهي دليل على رضا الله تعالى عنه ومحبته له ، فيحببه إلى الخلق ، ثم يُوضع له القبول في الأرض [١] .

فهذا القبول الناتج عن الإخلاص في العمل ، وسرور المخلص بتوفيقه وإخلاصه ، غير الرياء الذي تحدثت عنه السورة الكريمة وعدته علامة من علامات التكذيب بالدين ، كما تبين من الحديث الشريف .

هــذا ، وبعد أن تحدثت السورة الكريمة عن الرياء ، أحد علامات التكذيب بالدين ، انتقلت السورة إلى بيان علامة أخرى من علامات التكذيب بالدين ، توضح قيمة التعاون من الدين .

هذه العلامـــة هي : منع الماعون ، الذي ذُكر في أخر آية من السورة وذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ** ﴾ [٢] .

ــ المفردات :

﴿ **الْمَاعُونَ** ﴾ : الماعون : كل ما انتُفع به [٣] .

والماعون : فاعول من المَعْن ، وهو الشيء القليل ، تقول العرب : ماله مَعْن ، أي شيء قليل . وقيل : أصله مَعُونة [٤] .

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج . تأليف : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ١٨٩/١٦ ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ــ بيــروت . الطبعــة الثانية ١٣٩٢هـــ .

(٢) سورة الماعون : آية : ٧ .

(٣) يُراجع : تفسير الطبري ٢٤/ ٦٣٤ ، معاني القرآن وإعرابه . تأليف : إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ٥/ ٣٦٨ ، الناشر : عــالم الكتــب ــ بيــروت . الطبعة الأولى ١٤٠٨هــ ــ ١٩٨٨م .

(٤) يُراجع : تفسير القرطبي ٢٠/ ٢١٤ ، البحر المحيط ١٠/ ٥٥١ ، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٥١٧ .

وللمفسرين في المراد بالماعون، في الآية الكريمة، عدة أقوال، منها:

١ ــ أن المراد بالماعون في الآية : الزكاة المفروضة .

٢ ــ أن المراد بالماعون : ما يتعاوره الناس بينهم .

٣ ــ أن الماعون : كل ما فيه منفعة من قليل وكثير .

٤ ــ أن المراد بالماعون : المعروف .

٥ ــ المراد به : المال [١] .

والأقوال كلها ترجع إلى معنى المعاونة بما فيه منفعة ، من مال أو غيره من أوجه النفع والمعروف .

وعن عكرمة : رأس الماعون زكاة المال ، وأدناه المنخل والدلو والإبرة . وهذا الذي قاله حسن ، فإنه يشمل الأقوال كلها وترجع كلها إلي شيء واحد، وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ، وهذا كله يرجع إلي القول بأن الماعون : المعروف [٢] .

---

(١) يُراجع : تفسير الطبري ٦٣٥/٢٤ ــ ٦٤٢ ، تفسير السمرقندي (بحر العلوم) . تأليف : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ٦٢٥/٣ ، ٦٢٦ ، تفسير الماوردي ٣٥٢/٦ ، ٣٥٣ ، تفسير القرطبي ٢١٣/٢٠ ــ ٣١٥ ، تفسير ابن كثير ٤٧٠/٨ ، ٤٧١ ، فتح القدير للشوكاني ٦١٢/٥ ، ٦١٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٧١/٨ .

ومعني الآيـــة : ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ : أي ما يُعان بـــه الخلق ويُصرف فـــي معونتهم من الأموال والأمتعة ، وكل ما يُنتفع به [1] وسواء أكان (الماعون) من المعن ، وهو الشيء القليل ، أو من المعونة ، فالآية تصور بهذا التعبير علامة أخرى من علامات التكذيب بالدين ، وهي : الشُح بتقديم العون قليلاً كان أو كثيرًا .

حيث دلَّ هذا التعبير ﴿ يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ على بلوغ المكذب بالدين أقصى درجات الشُح والبُخل؛ ذلك أن البُخل بالأشياء القليلة ، مما ينفع الناس ، والبُخل بتقديم العون بأي وجه من وجوه النفع ، درجة عالية من الشُح ، نعوذ بالله تعالى منها .

ــ ارتباط الآية بما قبلها :

بيَّنت هذه الآية الكريمة أخر علامات التكذيب بالدين المذكورة بالسورة والتي ترتبط بما ذُكر قبلها من علامات في الآيات السابقة ، حيث ذكـــرت السورة الكريمة مجموعة من علامات التكذيب بالدين ، تدور كلها حـــول صفة الشُح، علامة واضحة يتسم بها المكذب بالدين؛ ذلـــك أن الصـــفات المذكورة بالسورة تشمل الشُح بجميع صوره وأشكاله.

فدع اليتيم وعدم الحض على طعام المسكين ، شكل من أشكال الشُـــح ، وهو الشُح بمشاعر العطف والرحمة والشفقة . والغفلة عن حقيقة العبادة ، والمراءاة بالعمل ، شكل آخر من أشكال الشُح ، وهو الشُح بإحسان العبادة

(1) تفسير القاسمي (محاسن التأويل) تأليف : محمد جمال الدين بن محمد ســـعيد بـــن قاسم الحلاق القاسمي . تحقيق: محمد باسل عيون السود ٥٥٣/٩ ، الناشر : دار الكتب العلمية ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

لله . والشح بتقديم العون ، شكل آخر ، وهو الشُح بنفع الغير ، بأي وجه من وجوه النفع .

وبهذا يتضح ارتباط الآية الكريمة بما قبلها من الآيات ، في بيان علامات التكذيب بالدين ؛ التي تدور حول الشُح بجميع صوره وأشكاله ، حيث ترابطت الآيات في التأكيد على أن المكذب بالدين ، شحيح الطبع ، لا يُحسن عبادة ربه ، ولا يُحسن إلى خلقه .

كما نجد ارتباطًا وثيقًا بين هذه الآية ، والآية التي قبلها ، قوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ**﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ**﴾ . ذلك أن المرائي شحيح الطبع ، يتظاهر بالطاعة وتقديم النفع لمن حوله ، وهو في الحقيقة شحيح يعمل لخدمة مصالحه الخاصة ، فلا يُقدم إلا ما يعود عليه بالنفع لذاته ، ويُرائي بعمله ، حبًا للذكر والثناء ، وحبًا للشهرة والسمعة ؛ ولأغراض دنيوية ، أما في غير ذلك ؛ فهو شحيح لا يُعين محتاجًا للعون ، وإن قدم عونًا ، فإنما يقدمه على كراهة ، كما قال تعالى : ﴿ .. . **وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ (1) ؛ لأنه ما حملهم على الإنفاق إلا الرياء .

ـ المعنى الإجمالي :

بهذه الصفة أو العلامة تختم السورة الكريمة علامات التكذيب بالدين في هذه الآية الكريمة : ﴿ **وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ** ﴾ . وبهذه الآية خُتمت السورة ، وبهذه الكلمة ﴿ **الْمَاعُونَ** ﴾ خُتمت السورة ، وبها أيضًا سُميت السورة ؛ تنبيهًا إلى قيمة وأهمية هذا الأمر من الدين ، حيث قد يتهاون بعض الناس بقيمة تقديم العون ، قليلاً كان أو كثيرًا ، ظنًا أن منعه لا يؤثر في الدين ،

---

(1) سورة التوبة : جزء آية : ٥٤ .

فيبخل ويشح بما ينفع الخلق ، مما هو ممكن لديه ومُستطاع ، ويغفل عن هذه السورة الكريمة التي عَدَّت منع الماعون أحد علامات التكذيب بالدين ؛ لتنبه إلى أهمية تطبيق الدين في واقع الناس ، من خلال إحسانهم في معاملاتهم ، وتعاونهم في كل ما يحقق نفعًا وخيرًا .

وفي الحديث الصحيح، عن النبيﷺ قال : ((كُلُّ مَعْروفٍ صَدَقة)) [1].

هـذا ، وإن تقديم العون وبذل المعروف ، لا يصدر من شحيح يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين ، ولا يحسن عبادة الله تعالى ؛ ذلك أن تقديم العون بأي وجه من وجوه النفع ، قليلاً كان أو كثيرًا ، مظهر من مظاهر الرحمة . والرحمة هي السمة المميزة للمصدِّق بالدين ، يُفسر ذلك: قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ** ﴾ [2] . وقوله تعالى : ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ**﴾ أي بالرحمة على الخلق [3] . ومن هنا كانت الأفعال المذكورة بالسورة ، الدالة على قسوة القلب وخلوه من الرحمة ، علامات للتكذيب بالدين .

لأن الرحمة صفة المصدق بالدين ، والرحمة أهم مقومات التكامل والتعاون ، والتكافل الاجتماعي الذي دعت إليه هذه السورة الكريمة التي

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه . كتاب الأدب . باب : كل معروف صدقة . حديث رقم : (٦٠٢١) ٨/ ١١ ، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه . (١٢) كتاب الزكاة . باب : (١٦) بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف . حديث رقم : (١٠٠٥/ ٥٢) ٢/ ٦٩٧ .

(2) سورة البلد : الآيات : ١٧ ، ١٨ .

(3) تفسير القرطبي ٢٠/ ٧١ .

عُنيت ببيان حقيقة التكذيب بالدين ، من خلال ذكر أفعال عملية ، لا نصوص نظرية ؛ لتؤكد على أن الدين ليس مجرد نصوص ، إنما هو تطبيق عملي في واقع الناس وحياتهم ، لا يكفي للتصديق به الإقرار باللسان فقط . فمَنْ أقر بلسانه فقط ، وهو في الواقع يأت بهذه الأفعال المذكورة بالسورة : مكذب بالدين ؛ حيث لا يُطابق إقراره حاله وأفعاله .

وبهذا وضحت السورة الكريمة حقيقة التكذيب بالدين ، التي قد تخفى على كثير من الناس .

المبحث الثاني

مقاصد سورة الماعون

تضمنت سورة الماعون عددًا من المقاصد والهدايات التي تهدي الناس في كل زمان ومكان إلى ضرورة تطبيق الدين في واقع حياتهم. وفرق كبير بين الاعتقاد النظري ، والتطبيق العملي ، وهذا ما أكدت عليه السورة الكريمة ، حيث جعلت علامات التكذيب بالدين أفعالاً ، قد يتهاون بها بعض الناس ولا يعدونها مؤثرة في الدين. ذكرت السورة أفعالاً من واقع الحياة ؛ لتعالج قضية اجتماعية مهمة ، وهي غياب التطبيق العملي لنصوص الدين في واقع الناس وحياتهم. تناولت السورة الكريمة هذه القضية في سبع آيات قِصار ، تضمنت العديد من المعاني والهدايات العظيمة، التي ترقى بالمجتمع إلى حياة اجتماعية فاضلة ، تقوم على أساس التراحم والتعاون .

ومن خلال هذه الآيات ، يمكن تلخيص أهم مقاصد وهدايات السورة الكريمة فيما يلي :

أولاً : التنبيه إلى جوهر الدين وحقيقته ، وبيان أن الدين ليس مجرد نصوص يتم حفظها وتلقينها وترديدها ، دون تدبر وفهم لمعانيها ومرادها. ودون تطبيق عملي في الواقع ، يظهر نفعه وأثره الطيب في المجتمع .

كما أن الدين ليس أداءً لشكل العبادات وصورها الظاهرة فقط ، دون التخلق بالأخلاق المرادة من هذه العبادات ، والتي تهدف إلى الارتقاء بأخلاق الإنسان وسلوكه في جميع علاقاته ومعاملاته .

ثانيًا : السورة تهدي إلى حقيقة العبادة ، حيث بيَّنت أن العبادة ما لم تكن صادرة عن إخلاص وتجرد لله تعالى ، فلا قيمة لها ؛ لأن معيار القبول لأي عمل من الأعمال ، هو الإخلاص .

كما أن أي عبادة يقوم بها الإنسان افتقدت الغاية المقصودة منها ، فلا قيمة لها . لا قيمة لعبادة تؤدى أداءً ظاهريًا فقط دون حضور القلب ، ودون أن تثمر أثرًا طيبًا في نفس الإنسان ، يمتد نفعه إلى أفراد مجتمعه ، لا قيمة لها في ميزان الدين . فلا قيمة لصلاة لم تثمر في قلب المصلي الرحمة التي تدفعه إلى العطف على اليتيم والمسكين، وتقديم العون لكل مَنْ يحتاجه . ولا قيمة لصلاة لم تحقق غايتها في حياة المصلي سلوكًا وعملاً . ويُقاس على هذا سائر العبادات .

ثالثًا : السورة الكريمة ذكرت بعض الأفعال التي قد يراها بعض الناس ، أفعالاً هينة لا تؤثر في الدين ، وعَدَّتها علامات للتكذيب بالدين . وفي ذلك ما يوضح أن مفهوم العبادة يتسع ليشمل كل عمل يمتد نفعه إلى الغير .

رابعًا : السورة الكريمة تهدي إلى ضرورة تحقيق التكامل بين جميع جوانب الدين ، حيث وضحت السورة من خلال الأفعال التي عُدَّتها علامات للتكذيب بالدين ؛ أهمية التكامل بين العقيدة ، والعبادات ، والمعاملات ، والأخلاق ، فلا يكفي المرء للتصديق بالدين الاقتصار على أحد هذه الجوانب وترك ما عداها ، بل لا بد من تحقيق التكامل بين جميع هذه الجوانب . وهذا المقصد من مقاصد سورة الماعون أكده القرآن الكريم في العديد من الآيات . ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّـهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ**

وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [1] .

خامسًا : السورة الكريمة دعوة إلى التكافل الاجتماعي ، حيث بيَّنت قيمة التراحم ، وقيمة العطف على اليتيم والمسكين، وقيمة التعاون ، عندما جعلت دع اليتيم ، وعدم الحض على طعام المسكين ، ومنع الماعون علامات للتكذيب بالدين .

سادسًا : السورة الكريمة تُحذر من الشُح بجميع صوره ، حيث إن كل ما ذُكر من أفعال ، عَدَّتها السورة علامات للتكذيب بالدين ؛ منبعها الشُح . ومن هنا نُدرك معنى الفلاح الذي وصف الله تعالى به كل مَنْ يُوق شُح نفسه ، في قوله تعالى : ﴿... **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [2] .

كما ندرك معنى قول الرسول ﷺ ((... لا يجتمعان في قلب عبدٍ : الإيمان والشُح)) [3] .

([1]) سورة البقرة : آية : ١٧٧ .

([2]) سورة الحشر : جزء آية : ٩ ، وسورة التغابن : جزء آية : ١٦ .

([3]) جزء حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، من مسند أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ حديث رقم : (٨٤٧٩) ١٤/ ١٨٣ ، ١٨٤ . [مسند الإمام أحمد بن حنبل . تأليف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني . تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، وآخرون . إشراف : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي . الناشر : مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م] .
==

سابعًا : السورة الكريمة وضحت من خلال علامـــات التكـــذيب بالـــدين المذكورة ؛ أن الرحمة أهم سمات المصدق بالدين .

ثامنًا : السورة الكريمة تهدي إلى ضرورة تربية النفوس علـــى الـــدين ، وإلى أهمية ذلك في حفظ المجتمعات ؛ ذلك أن الأفعـــال المـــذكورة فـــي السورة ، من عدم الرحمة باليتيم ، وعدم الحض على طعـــام المســـكين ، والغفلة عن غايات العبادات ، والرياء وعدم التعاون ، كلها أفعال ليس لها عقوبات مقررة في الشريعة الإسلامية ، كما هـــو الأمـــر فـــي الحـــدود والكفارات .. .

ولذا ؛ قد يُستهان بهذه الأفعال ، ويظن بعض الناس أنها ليست مـــؤثرة في الدين فجاءت هذه السورة تُرهب من هذه الأفعال ، حين عَدَّتها علامات للتكذيب بالدين ، لتبين وتؤكد على قيمة الرحمة والعطـــف علـــى اليتـــيم، والحث على فعل الخير، والإخلاص، والتعاون، وعِظم قدر هذه الأفعـــال، وغيرها من أوجه البر، ومكانتها من الدين.

==

كما رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين . كتاب الجهاد حديث رقم : (٢٣٩٤) ٨٢/٢ [المستدرك على الصحيحين . تأليف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بـــن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع . تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر : دار الكتب العلمية ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١١هـــ ــ ١٩٩٠م] وعلّق عليه الحاكم بقوله : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . ووافقه الإمام الذهبي في التلخيص ٧٢/٢ . [تلخيص المســـتدرك للإمام الحافظ الحجة : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، على هـــامش المستدرك على الصحيحين . الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة ــ الرياض] .

وبهذا تؤكد السورة الكريمة على أهمية تربية النفوس على الدين ، في صون الأخلاق ، وحفظ الحقوق ، وحماية المجتمعات .

هذا ، وفي ذكر دع اليتيم ، وعدم الحض على طعام المسكين ومنع الماعون ، علامات للتكذيب بالدين ، وهي أفعال منكرة ، ليس في حكم الشرع فقط ، بل في حكم الإنسانية ، ما يوضح مكانة إحسان العلاقات الإنسانية والاجتماعية ، من الدين .

الخاتمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلــق وإمــام المرسلين ، سيدنا محمد النبي الهادي الأمين ، ورضي الله عن الصـــحابة والتابعين ومَنْ اقتدي بهداهم إلى يوم الدين .

وبعـــد

فبفضل الله تعالى وتوفيقه ، تم الانتهاء من كتابة هذا البحث ، وفيمـــا يلي عرض لأهم نتائج وتوصيات البحث في تفسير هذه السورة الكريمة .

أولاً : نتائج البحث :

من خلال تفسير هذه السورة الكريمة والتـــدبر فـــي آياتهـــا ومعانيهـــا ومقاصدها ، يمكن تلخيص أهم نتائج البحث فيما يلي :

ــ أن ما يُعاني منه المجتمع من افتقاد الرحمة والتعاون فـــي كثيـــر مـــن العلاقات الاجتماعية ، والذي ينتج عنه كثير من المشكلات الاجتماعيـــة ، إنما يرجع إلى عدم التطبيق العملي لنصوص الدين في الحياة .

هـــذا ويرجع عدم التطبيق العملي لنصوص الدين ، إلى عدة أسباب:

١ ــ البُعد عن حقيقة الدين ؛ حيث يحصر بعض الناس الدين في جانـــب العقيدة فقط ، وبعض الناس يحصر الدين في أداء العبادات فقط ، ويغفلون عن جانب الأخلاق والمعاملات ، ومكانة ذلك من الدين .

٢ ــ البُعد عن حقيقة العبادة ، حيث يحصر بعض الناس العبادة فـــي أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج ، ويغفلون عن كثير من الأعمال الصالحة التي هي أيضًا عبادة لا تقل أهمية عن هذه العبادات ، كإتقـــان العمـــل ،

والسعي في قضاء حوائج الناس ، وإصلاح ذات البيِّن ، وستر الإنسان لغيره ، وكف الأذى ، ونصرة المظلوم ، والإحسان إلى اليتيم والمسكين ، وتقديم العون بأي وجه من وجوه الخير، وغير ذلك من الأعمال الصالحة ، التي هي عبادات يمتد نفعها إلى الغير، ومع ذلك يهجرها كثير من الناس، أو يتهاونون بها ، والسبب في ذلك : نقص في فهم حقيقة العبادة التي تشمل كل خير ، وكل طاعة يتقرب بها العبد إلى الله تعالى .

إن البعد عن الفهم الصحيح لحقيقة العبادة ، تسبب في الجهل بقيمة وفضل كثير من الأعمال الصالحة ، التي تبدو هينة ، لكنها عند الله ــ تعالى ــ عظيمة .

٣ ــ يُضاف إلى البُعد عن الفهم الصحيح لحقيقة العبادة : الغفلة عن فهم غايات ومقاصد العبادات ، وإذا غفل الإنسان عن مقاصد العبادات ؛ فَقَدَ خيرها وأثرها في نفسه ؛ فيؤديها على أنها عادات اعتادها ، لا أثر لها في سلوكه ومعاملاته .

وقد نجد في الواقع كثيرًا من هؤلاء الذين يحافظون على أداء العبادات ، ويحرصون على أدائها ، لكن أفعالهم ومعاملاتهم تُناقض غايات ومقاصد هذه العبادات ؛ ذلك لأنهم في غفلة عن غاياتها ، فلم ينتفعوا بها ولم ينفعوا بها مَنْ حولهم .

وهذا ما تحدثت عنه السورة الكريمة حين ذكرت نموذجًا لذلك : المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون .

٤ ــ الوقوف بنصوص الدين عند حد التصور النظري لها ، فكم من مسلم يحفظ آيات هذه السورة الكريمة دون تدبر لمعانيها ومقاصدها، ودون تنبه

إلى أن هذه الأفعال المذكورة بالسورة علامات للتكذيب بالدين ! وكم من مسلم يهتم بحفظ القرآن الكريم ، لكن يتوقف الأمر لديه عند حد الدراسة والحفظ والترديد والتلقين فقط . دون تطبيق لنصوص القرآن في حياته ومعاملاته !

ثانيًا : التوصيات (المقترحات) :

إعداد برامج تعليمية ودعوية وإعلامية تُساهم في حل مشكلة غياب تطبيق كثير من نصوص الدين في واقع الناس وحياتهم ، تتضمن هذه البرامج الاهتمام بما يلي :

١ ــ إلقاء الضوء على غايات ومقاصد العبادات ، حيث إن كثيرًا من هذه البرامج يهتم بإلقاء الضوء على الأحكام المتعلقة بالعبادات فقط.

وهذا من الأهمية بمكان ، لكن ينبغي أن يُعطى للحديث عن غايات ومقاصد العبادات وأثرها في حياة المسلم قدرًا من الأهمية ، لا يقل عن الاهتمام بالكيفية والأحكام ؛لأن حصر الحديث عن العبادات في : ما حكم كذا ؟ ، وهل يجوز كذا ؟ ، ... ، ابتعد بالمخاطب عن غايات هذه العبادات وأثرها في حياة الإنسان ، كما ابتعد به عن أهم ما ينبغي أن يحرص عليه الإنسان في أي عبادة ، وهو الإخلاص، الذي يتوقف عليه القبول ، وأصبح كل ما يهم المخاطب بهذا الخطاب : الحرص على شكل وكيفية أداء العبادة ، وكأن هذا هو فقط معيار القبول .

وأُكرر : أن هذا من الأهمية بمكان ، لكن لا ينبغي أن يُصرف كل الاهتمام إلى الحديث عن الكيفية والشكل ، ونبتعد عن المضمون .

٢ ــ توعية الآباء والمربين بضرورة الاهتمام في تربية النشأ وتعليمهم كيفية أداء العبادات وأحكامها ، بتعليمهم غايات ومقاصد العبادات .

٣ ــ توضيح مفهوم العبادة الذي يتسع ليشمل كل خير وكل طاعة يتقرب بها العبد إلى الله تعالى ، وكل عون ؛ بأي وجه من أوجه النفع يقدمه الإنسان لأفراد مجتمعه ، ولا ينحصر في أداء الشعائر فقط .

٤ ــ التأكيد في هذه البرامج على أهمية الأخلاق والمعاملات من الدين ، وأن هذه الجوانب جوانب مكملة للدين ، فكما لا يتم تصديق المرء بالدين ، دون الإيمان بالله ورسوله وأداء العبادات ، فكذلك لا يتم تصديق المرء بالدين مع ترك هذه الجوانب ، كما وضحت السورة الكريمة .

٥ ــ الاهتمام في تحفيظ القرآن الكريم ببيان معاني ومقاصد وهدايات الآيات، فكم من حافظ للقرآن الكريم ، يُردد آياته دون فهم لمعانيها ومقاصدها ، والسبب في ذلك يرجع إلى الاهتمام بالحفظ فقط ، دون الاهتمام بتدبر المعاني والهدايات .

٦ ــ إنشاء مشروع تفسيري يهتم بإبراز مقاصد وهدايات الآيات ، ويقتصر من التعرض للروايات والقراءات وأوجه الإعراب على ما يخدم المعنى فقط؛ لأن كثيرًا من التفاسير التي أطنبت الحديث في مسائل النحو والإعراب ، وأوجه القراءات ، والخلافات بين أهل التخصص في ذلك ، وأكثرت من الخوض في الروايات ، بما فيها من ضعيف ودخيل ، لا شك بَعُدَّت بالقارئ عن مقاصد وهدايات الآيات .

ومن هنا يتضح دور المتخصصين في مجال تفسير القرآن الكريم ، ومسئوليتهم الكبيرة في المساهمة في حل مشكلة غياب التطبيق لنصوص

القرآن الكريم في واقع الحياة . وذلك من خلال إنشاء مشروع تفسيري ، يُخاطب المتخصص وغير المتخصص بأسلوب سهل مُبَسَّط ، بعيد عن التعقيد ، يهتم بإبراز مقاصد وهدايات الآيات ، بما يُساهم في حل مشكلة غياب التطبيق لنصوص القرآن في علاقات الناس وحياتهم .

فهرس المراجع والمصادر

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ الإتقان في علوم القرآن ــ تأليف: الإمام جــلال الــدين الســيوطي الشافعي. مراجعة وتدقيق : سعيد المندوه . الناشر : دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى ١٤١٦هــ ــ ١٩٩٦م .

٣ ــ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . تأليف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. عام النشر: ١٤١٥هــ ــ ١٩٩٥م .

٤ ــ البحر المحيط في التفسير ــ تأليف :أبو حيان محمد بن يوسف بــن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ــ تحقيق : صــدقي محمــد جميل ــ الناشر: دار الفكر ــ بيروت ــ تاريخ الطبعة ١٤٢٠هــ.

٥ ــ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد . تأليف : أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني ــ تحقيق : أحمد عبــد الله القرشــي رسلان . ط / دار الكتب العلمية ــبيروت . الطبعة الثانية ١٤٢٣هــ ــــ ٢٠٠٢م .

٦ ــ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . تأليف : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي . تحقيق : محمد علي النجــار . الناشر : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ــ القاهرة ــ عام النشر: ١٤١٦هــ ــ ١٩٩٦م .

٧ ــ تاج العروس من جواهر القاموس . تأليف : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي . تحقيق : مجموعة من المحققين ، الناشر : دار الهداية .

٨ ــ التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) . تأليف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. الناشر: الدار التونسية للنشر. تونس. سنة النشر ١٩٨٤م.

٩ ــ التسهيل لعلوم التنزيل . تأليف : أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي . تحقيق : د. عبد الله الخالدي . الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ــ بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

١٠ ــ تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) . تأليف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ــ تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ــ الناشر : دار الكتب العلمية ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

١١ ــ تفسير ابن فورك . تأليف : محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني أبو بكر. الناشر : جامعة أم القرى ــ المملكة العربية السعودية.

١٢ ــ تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) . تأليف : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. الناشر: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت .

١٣ ــ تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) . تأليف : ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ــ تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي ــ الناشر : دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

١٤ ــ تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو : التفسير الكبير) تأليف : أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ــ الناشر: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ .

١٥ ــ تفسير الراغب الأصفهاني ــ تأليف : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ــ تحقيق ودراسة : د . محمد عبد العزيز بسيوني ــ الناشر : كلية الآداب ــ جامعة طنطا ــ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م .

١٦ ــ تفسير السمرقندي (بحر العلوم) . تأليف : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي. الناشر: دار الفكر ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ــ ١٩٧٧م .

١٧ ــ تفسير العز بن عبد السلام (تفسير القرآن) تأليف : أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي الملقب بسلطان العلماء . تحقيق : الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي . الناشر : دار ابن حزم ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م .

١٨ ــ تفسير القاسمي (محاسن التأويل) تأليف : محمد جمال الــدين بــن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي. تحقيق : محمد باسل عيون السود . الناشر: دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

١٩ ــ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) . تأليف : محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن مــنلا علــي خليفــة القلموني الحسيني . الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب . سنة النشــر ١٩٩٠م .

٢٠ ــ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ــ تــأليف : أبــو الفــداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ــ تحقيق : محمــد حسين شمس الدين . الناشر : دار الكتب العلمية . منشورات محمد علــي بيضون ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

٢١ ــ التفسير القرآني للقرآن . تأليف : عبد الكريم يــونس الخطيــب . الناشر: دار الفكر العربي ــ القاهرة .

٢٢ ــ تفسير الماوردي (النكت والعيون) ــ تأليف : أبو الحسن علي بــن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي ــ تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ــ الناشر : دار الكتب العلميــة ــ بيروت ــ لبنان .

٢٣ ــ تفسير المراغي. تأليف :أحمد بن مصطفى المراغــي . الناشــر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصــر . الطبعــة الأولى ١٣٦٥هـ ــ ١٩٤٦م .

٢٤ ــ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل). تأليف أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي . حققه وخرَّج أحاديثــه : يوسف علي بديوي . راجعه وقدَّم له : محيى الدين ديب مستو . الناشــر: دار الكلم الطيب ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤١٩هــ ــ ١٩٩٨م.

٢٥ ــ التفسير الوسيط للقرآن الكريم . تأليف : د . محمد سيد طنطاوي . الناشر : دار نهضة مصر ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

٢٦ ــ تفسير مجاهد . تأليف : أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي . تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل ، الناشر : دار الفكر الإسلامي الحديثة ــ مصر . الطبعة الأولى ١٤١٠هــ ــ ١٩٨٩م .

٢٧ ــ تفسير مقاتل بن سليمان . تأليف : أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي . تحقيق: عبد الله محمود شحاتة. الناشر : دار إحياء التراث ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤٢٣هــ .

٢٨ ــ تلخيص المستدرك . تأليف : الإمام الحافظ الحجة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي .على هامش المستدرك على الصحيحين ، الناشر : مكتبة ومطابع النصر الحديثة ــ الرياض .

٢٩ ــ تهذيب اللغة . تأليف : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبــو منصور . تحقيق : محمد عوض مرعب . الناشر : دار إحيــاء التــراث العربي . بيروت . الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

٣٠ ــ جامع البيان في تأويل القرآن ــ تأليف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري ــ تحقيق : أحمد محمد شاكر. الناشر: مؤسسة الرسالة ــ الطبعة الأولى ١٤٢٠هــ ــ ٢٠٠٠م .

٣١ ــ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) . تأليف : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي . تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر . الناشر : دار طوق النجاة . الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

٣٢ ــ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) تأليف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ــ تحقيق: أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش ــ الناشر: دار الكتب المصرية ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ ــ ١٩٦٤م .

٣٣ ــ جمهرة اللغة . تأليف : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي . تحقيق: رمزي منير بعلبكي . الناشر: دار العلم للملايين ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٣٤ ــ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي . المسماة : عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي . تأليف : شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي . دار النشر : دار صادر ــ بيروت .

٣٥ ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ــ تأليف : عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي . الناشر : دار الفكر ــ بيروت .

٣٦ ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تأليف : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي . تحقيق : علي عبد الباري عطية ، الناشر : دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

٣٧ ــ زاد المسير في علم التفسير ــ تأليف : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ــ تحقيق : عبد الـرزاق المهـدي ــ الناشر: دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

٣٨ ــ السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كـلام ربنـا الحكيم الخبير ــ تأليف : شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشـربيني الشافعي . الناشر : مطبعة بولاق (الأميرية) ــ القاهرة . عـام النشـر : ١٢٨٥هـ .

٣٩ ــ فتح القدير ــ تأليف : محمد بن علي بـن محمـد بـن عبـد الله الشوكاني اليمني ــ الناشر : دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ــ دمشق ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

٤٠ ــ الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنيـة والحكـم الفرقانية . تأليف: نعمة الله بن محمود النخجواني، ويُعرف بالشيخ علوان، الناشر : دار ركابي للنشـر ــ الغوريـة ــ مصـر . الطبعـة الأولـى ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م .

٤١ ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فـي وجـوه التأويل ــ تأليف : الإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمـد الزمخشري ــ الناشر : دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ الطبعـة الثالثـة ١٤٠٧هـ .

٤٢ ــ اللباب في علوم الكتاب ــ تأليف : أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ــ تحقيق : الشيخ عـادل أحمـد

عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ــ الناشر : دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م.

٤٣ ــ لسان العرب ــ تأليف : محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي . الناشر : دار صادر ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ .

٤٤ ــ المستدرك على الصحيحين . تأليف : أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري ، المعروف بابن البيع . تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت. الطبعة الأولى ١٤١١هـ– ١٩٩٠م.

٤٥ ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل . تأليف : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني . تحقيق : شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون. إشراف د.عبد الله بن عبد المحسن التركي. الناشر: مؤسسة الرسالة. الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ــ ٢٠٠١م.

٤٦ ــ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ تأليف : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوي . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . الناشر: دار إحياء التراث العربي. بيروت .

٤٧ ــ معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) تأليف :أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ــ تحقيق عبد الرزاق المهدي . الناشر : دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

٤٨ ــ معاني القرآن وإعرابه . تأليف : إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج ، الناشر : عالم الكتب ــ بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م .

٤٩ ــ المفردات في غريب القرآن ــ تأليف : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ــ تحقيق : صفوان عدنان الداودي . الناشر: دار القلم ، الدار الشامية ــ دمشق ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

٥٠ ــ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي على صحيح مسلم) . تأليف : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي . الناشر : دار إحياء التراث العربي . بيروت . الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .

٥١ ــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . تأليف : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي . الناشر : دار الكتاب الإسلامي ــ القاهرة .

٥٢ ــ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه . تأليف : أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ــ جامعة الشارقة . إشراف : د . الشاهد البوشيخي . الناشر : مجموعة بحوث الكتاب والسُنَّة ــ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ــ جامعة الشارقة . الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٨م .

فهرس الموضوعات